

شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف عياض بن
موسى - ٥٤٤هـ . كتب في القرن الثاني عشر
الهجري تقديرا
ش ق

١٢٣١ق ٢٣س ٢١×١٤١سم

١٤٤٣ نسخة جيدة ، خطها نسخ حسن ، مطبوع
الأعلام ٥ : ٢٨٢ كشف الظنون ٢ : ١٠٥٢
١- السيرة النبوية أ- القاضي عياض، عياض بن
موسى - ٥٤٤هـ ب- تاريخ النسخ

متن الشفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الامام القاضي الاوحد ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنما وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم رأفة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره

فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلوة والسلام وما له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وهاهنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام وان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكنني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد اخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال

قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار
يوم القيمة ۞ فبادرت الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق
المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال
بما طوقه الانسان من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل
فرض ونفل وترده بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان
خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثم سوى حضرة
النعيم ۞ او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل
صالح يستزيده ۞ وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر
عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا
ويقربنا اليه زلفى ويحظينا بمنه ورحمته وكرمه ۞ ولما نويت تقريبه و
درجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله ۞ وانتحيت حصره
وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه
في اقسام اربعة ۞ القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا
النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب ۞ الباب الاول
في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون
فصلا ۞ الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره وعند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه
اثني عشر فصلا ۞ الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه
من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون
فصلا ۞ القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه
السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب ۞ الباب الاول

في فرض الايمان به

في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب
الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول ۞ الباب الثالث
في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول ۞ الباب الرابع
في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول
القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور
البشرية ويضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه
الابواب وما قبله كالقواعد والتمهيدات والدلايل على ما نورده فيه من النكت
البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التأليف وعده وعند
التقصي لموعده والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق
قلب المؤمن باليقين وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى
الله عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين ۞ الباب الاول
يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية
وفيه تسعة فصول ۞ القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من
تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين ۞ الباب الاول
في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول ۞ الباب
الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة
عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه
المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله
وملائكته وكتبه وآل النبي عليه السلام وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة
فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة
الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل
تخمين ويشف صدور قوم مؤمنين ۞ ويصدع بالحق ويعرض عن الجاهلين

وبالله تعالى لا اله سواه استعين ۞ لا اله الا هو الملك الحق المبين ۞
القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا ۞ قال
الفقيه القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله وسدده لاخفاء على من مارس شيئا
من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام ۞
وخصوصه اياه بفضايل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم
قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل
نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه
فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى
ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا وله الحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه
للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق
الحميدة والمذاهب الكريمة والفضايل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين
الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها
علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا
صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ
قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن
خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي ۞ قال
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا اسحق
بن منصور حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب
عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال
فارفض عرقا ۞ الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهار عظيم
قدره ومنزلته لديه ۞ اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى عليه السلام وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره

اعتمدنا

اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول
الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن
كقوله تعالى ۞ لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي
وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه
القاضي ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب واهل
مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث
فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه
وامانته ولا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن
في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او
قرابة وهو عند ابن عباس رضي الله عنه وغيره معنى قوله عز وجل
الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة
الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه
بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة
ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته
بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤوف رحيم ۞ ومثله
في الاية الاخرى قوله تعالى ۞ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى ۞ هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم الاية قوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم ۞
وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنه عليه السلام في قوله تعالى
من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في اباي من لدن ادم سفاح
كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام
فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية وعن ابن
عباس رضي الله عنه في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين ۞

قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله تعالى
عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفوا
من حذمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البشرية
البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته
وموافقته موافقته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ۞ قال ابو بكر بن
طاهر زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه
رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى
ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ۞ فكانت حياته
وموته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم
وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها
فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن
والانس وقيل بجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافق
بالامان ورحمة للكافر بتأخير العذاب ۞ وقال ابن عباس رضي الله
عنه هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم
المكذبة ۞ وحكى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت لثناء الله تعالى علي بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين ۞ وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله
تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين ۞ اي بك انما وقعت سلامتهم
من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم ۞ وقال الله تعالى
الله نور السموات والارض الاية ۞ قال كعب بن جبير المراد بالنور الثاني

ههنا

ههنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم قاله
سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل
نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح
قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة
توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام وضرب المثل بالشجرة
المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله
اعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا ۞
فقال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ۞ وقال تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ۞ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
ومن هذا قوله تعالى ۞ الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح اي وسع
والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنه شرحه بالاسلام
وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه الم
نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول
لا اله الا الله ۞ محمد رسول الله وقيل في الاذان والاقامة والتشهد
قال الفقيه القاضي وفقه هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى
الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان
شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه
ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين

كله وحط عنه عمده اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه
بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرنه مع اسمه اسمه قال قتاده
رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة
الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى ابو سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام فقال
ان ربي وربك يقول اتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم
قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك
وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر
بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم
في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته واسمه باسمه فقال
تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف
المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو
علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال
حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن حدثنا ابو بكر بن داسه
حدثنا ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور
عبد الله بن يسار عن حذيفه رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم فلان
قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله
تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي للنسق والتراخي بخلاف الواو
التي هي الاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب
القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين

بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على
يعصهما وقول ابو سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال
ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون
واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي هل
يصلون راجعة على الله والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي
وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك
عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقد قال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية
روي انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن
طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى
في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال
ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى
مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية
في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن
صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
الاية انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد
وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال

كله وحط عنه عمده اعباء الرسالة والنبوة لتبليغ للناس ما نزل اليهم وتنويهه
بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفع ذكره وقرنه مع اسمه اسمه قال قتاده
رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة
الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى ابو سعيد
الخدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام فقال
ان ربي وربك يقول اتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم
قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكرى معك
وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرني قال جعفر
بن محمد الصادق ولا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم
في ذلك الا الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته واسمه باسمه فقال
تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف
المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو
على الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال
حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسه
حدثنا ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور
عبد الله بن يسار عن حذيفة رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم فلان
قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله
تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي للنسق والتراخي بخلاف الواو
التي هي الاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب
القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين

بحرف

بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على
يعصهما وقول ابو سليمان اصح لما روى في الحديث الصحيح انه قال
ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون
واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي هل
يصلون راجعة على الله والملئكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي
وملئكته يصلون وقد روى عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك
عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقد قال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين
روى انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن
طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى
في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال
ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى
مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية
في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن
صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
الاية انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد
وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال

نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الايتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ وصدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا من الاقوال عن مجاهد في قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة

وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمرو ابن العاصي قال اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله

سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم وجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سبحانه سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية كما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء صلوات الله عليهم ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول

حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم
قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم
صدق عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن
ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم سهل التستري
هي سابقة رحمة اودعتها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن
علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد عليه السلام حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام
بمنزلة اصلحك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره
بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم
القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم
اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله برحمته
اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى
يتبين الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى
على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب
قال نفطويه ذهب الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه
الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم
يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال
الفقيه القاضي رحمه الله يجب على المسلم المجاهد لنفسه الرائض بزمام
الشريعة خلقه ان يتأدب بأدب القرآن في قوله ومعاطاته ومحاورته فهو عنصر
المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة

العجيبة والسؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويتبين
ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو
قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى
الانبياء عليهم السلام بعد الزلات وعاتب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه
غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه
وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه
وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك الاية وقال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله
عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى لا يكذبونك
الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه
السلام فقال له ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك
صادق فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسليته
تعالى عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم
غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل
النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل
الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما
ذكره عمن قبله ووعده بالنصر بقوله تعالى ولقد كذبت رسل
من قبلك الاية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك

كاذبا وقال الفرا والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون
على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى
الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه وبر الله
تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال
يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا موسى يا داوود يا عيسى يا زكريا
يا يحيى ولم يخاطب هو الا بيا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا
المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة
حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت
لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل
وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال
ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله
عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غيره قال
ابو الجوزا ما اقسم الله تعالى بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده وقال الله تعالى يس والقرآن الحكيم
الايات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي
انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء
ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو
قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد
وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب

يس

يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد
انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان
قرر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه
من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان
كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة
بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى
صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق
قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه
الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد
قال عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر قال الله تعالى
لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه
بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زايدة اي اقسم به وانت به
يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند
هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته
بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة
مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه قول
ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه
فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد
من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد فهي ان شاء الله
اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به في موضعين
وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام
اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن
عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد

صلى الله عليهما وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل
معناه الله انزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن لاريب فيه
وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لاريب فيه ثم فيه
من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم ۝ وقال بن عطاء فى قوله
تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم
حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل
اسم للقرآن ۝ وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض ۝ وقيل غير
هذا ۝ وقال جعفر بن محمد فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله
عليه وسلم ۝ وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم ۝ وهوى انشرح
من الانوار ۝ وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء فى قوله تعالى
والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

فى قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده قال الله تعالى والضحى والليل اذا
سجى السورة اختلف فى سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبى
صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام
وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت السورة ۝ قال
الفقيه القاضى رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى
له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره
من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى وهذا من اعظم
درجات المبرة ۝ الثانى بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى
ما ودعك ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد
ان اصطفاك ۝ الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى
قال بن اسحق اى مالك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك

من كرامة

من كرامة الدنيا ۝ وقال سهل اى ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة
وشتات الانعام فى الدارين والزيادة ۝ قال بن اسحق يرضيه بالفلج
فى الدنيا والثواب فى الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة ۝ وروى
عن بعض آل النبى صلى الله عليه وسلم ۝ انه قال ليس فى القرآن آية
ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد
من امته النار ۝ الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه
قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف
التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنا
ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقد قيل آواه الى الله وقيل يتيما
لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك
عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على العلوم من التفسير
لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه ۝ السادس امره باظهار نعمته
عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك
فحدث فان من شكر النعمة التحديث بها وهذا خاص له عام لامته
وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى
اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم باقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القرآن ۝ وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى
الله عليه وسلم وقال سهل هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد
قيل فى قوله تعالى والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم
الثاقب ۝ ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه

الشأن تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو شديد القوى ۞ ثم اخبره تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهاءه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه مثل هذا تعالى في اول سورة الاسرى ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال الله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى ۞ وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى ۞ قال القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال الله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم ۞ لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم ۞ عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين ۞ اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم ۞ فجميع الاوصاف بعد على هذا له ۞ وقال غيره جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى

جبريل

الجزء الثاني



جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو بخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال الله تعالى ن والقلم الآيات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال الله تعالى وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله تعالى قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقباهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله ولا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده ۞

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام

قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه
السلام وقيل هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي
حروف مقطعة لمعان ۝ قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل
هو امر من الوطء والها كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا
تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ۝ ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى ۝ نزلت هذه الاية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه
من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت حدثنا ابو ذر
الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي حدثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي
قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القسم عن ابي جعفر عن الربيع
بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل
ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة
وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام كما قيل او جعلت قسما لحق
الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك
باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ۝ اي قاتل
نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا ۝ لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين ۝ ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء
آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ۝ ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ۝ الى قوله ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون ۝ الى آخر السورة وقوله تعالى ۝ ولقد استهزئ
برسل من قبلك الاية قال مكي سلاه تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى
من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل

هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا
قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
عزاه الله تعالى بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله
ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول
من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي
اعرض عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله
قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث
نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع

فيما اخبر الله في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء عليهم السلام
وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الاية
قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا
ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ
ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب
المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم ۝ قال علي كرم الله وجهه
ورضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد
صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد
بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير
وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله
شهيدا ۝ روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام

بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها
يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في
البعث ولذلك ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره وقال السمرقندي
في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو
اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر
وقال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل
التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه
بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس
احد من الانبياء عليهم اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى
الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى
خاطب الانبياء عليهم السلام باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة
في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي
عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة
على محمد صلى الله عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي على
دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن

في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب
بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي

فيها

فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا
مثل قوله تعالى لو تزيلوا وقوله ولولا رجال مؤمنون نزلت وما لهم
الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرئه
العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم
فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم بغلبتهم اياهم
وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية
ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه
حدثنا ابو الفضل ابن خيرون وابو الحسن الصيرفي حدثنا ابو يعلى بن زوج
الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزي
حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا سفين بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل
بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي
وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار او نحو منه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع
وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه
وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا
اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم
بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه
والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل نعمة يصلون
يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه
بين لفظ الصلاة عليه والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر

بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى
لنبيه قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته قال ويهديك صراطا
مستقيما والياء يأيده قال ايدك بنصره والعين عصمته له قال
والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله وملئكته
يصلون على النبي وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه هو مولاه الاية مولاه
اي وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملئكة وقيل ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما وقيل علي رضي الله وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا
مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء
عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء
اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره
وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مواخذ بما كان
وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك
وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد
منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر
لك وقيل بفتح المكة والطايف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك
فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه
واجلاله ورفع ذكره وهدايته الى الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة
الدائمة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المومنين بالسكينة والطمانينة
التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو
عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا

الاية فعدد محاسنه وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه
الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب
وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا للضلالات ليؤمن
بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اي يجلونه وقيل ينصرونه
وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه اي يعظموه وقراه بعضهم يعززوه
بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال تعالى وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء
جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح
المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرية
من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة
الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله
حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر
واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن
ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون
الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله
وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام
وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم
وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا
في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله
ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك

الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملاء عينيه وكذلك قتل
الملئكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العرفي
ومقابلة اللفظ باللفظ ومناسبة اي ما قتلتموهم وما رميتهم اذ رميت
وجوههم والحصا والترب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة
الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه
من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة
الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه
ومشاهدته ما شاهده من العجايب من ذلك عصمته من الناس بقوله
والله يعصمك من الناس وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله
تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم
بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه
عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر لهم في ذلك من الايات
ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث
والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله تعالى بما اعطاه
والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة
وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه
ورد عليه فقال تعالى ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك
والابتر الحقير الذليل والمفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال
الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل
السبع المثاني السور الطول الاول والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع
المثاني ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القرآن

من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن
العظيم وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله
استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء عليهم السلام
وسمى القرآن مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك
بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر
الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية فهذه من خصايصه
وقال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة
كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال الله تعالى
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل
التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض
عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي
النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن
عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الاخرة وقد قرئ
وهو اب لهم ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف وقال الله تعالى
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال
الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل

قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي
اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله
ويقرب الى الله تعالى زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين
ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه
اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله
وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخر بالاخروية اذا قصد به التقوى
ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين
الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب
الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل
والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحيا
والمروة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب
والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه
الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون
فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة
كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها
وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل اذا كانت خصال الجلال

والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها واثنين ان اتفقت له
في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة

حتى

حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب
اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بول فما ظنك بعظيم قدر من
اجتمعت فيه كل هذه هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال
ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة
والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والروية والقرب
والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر
والاسود والصلوة بالانبياء عليهم السلام والشهادة بين الانبياء
والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة
والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين
واعطاء الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة
والعفو عما تقدم وما تاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع
الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملائكة
وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرءان العظيم وتزكية الامة
والدعاء الى الله وصلاة الله والملئكة والحكم بين الناس بما اراه
الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته
وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين
اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب
الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام
وتسبيح الحصى وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه
محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما
اعد له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
الحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم

فصل ان قلت اكرمك الله

لاخفاء على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا
واكملهم محاسنا وفضلا ○ وقد ذهبت فى تفاصيل خصال الكمال مذهبا
جميلا ○ شوقنى الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا
فاعلم نور الله قلبى وقلبك وضاعف فى هذا النبى الكريم حبى وحبك
انك اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفى جبلة الخلقة وجدته
حايزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار
لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع ○ اما الصورة وجمالها وتناسب
اعضائه فى حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك
من حديث على ، وانس بن مالك ، وابى هريرة ، والبراء بن عازب ، وعايشة
ام المؤمنين ، وابن ابى هالة ، وابى جحيفة ، وجابر بن سمرة ، وام معبد ، وابن
عباس ، ومعرض بن معيقيب ، وابى الطفيل ، والعداء بن خالد ، وخريم
بن فاتك ، وحكيم بن حزام ، وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم ، كان
ازهر اللون ، ادعج ، انجل ، اشكل ، اهدب الاشفار ، ابلج ، ازج
اقنى ، افلج ، مدور الوجه ، واسع الجبين ، كث اللحية ، تملأ صدره
سواء البطن والصدر ، واسع الصدر ، عظيم المنكبين ، ضخم العظام
عبل العضد والذراعين ، والاسافل ، رحب الكفين ، والقدمين ،
سايل الاطراف ، انور المتجرد ، دقيق المسربة ، ربعة القد ، ليس
بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، مع ذلك فلم يكن يماشيه احد
ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم ، رجل الشعر اذا افتر ،
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق ، وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئى
كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ، ليس بمطهم ، ولا
مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم ، قال البراء ما رأيت

من ذى لمة فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ○
وقال ابو هريرة ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كأن الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ فى الجدر ○ وقال
جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف
فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا ○ وقالت ام معبد
فى بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب
وفى حديث ابن ابى هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ○
وقال على رضى الله عنه فى اخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه
وسلم والاحاديث فى بسط صفته مشهورة كثيرة ولا نطول بسردها
وقد اختصرنا فى وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية فى القصد
الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك
ان شاء الله تعالى ○

فصل واما نظافة جسمه

وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد
خصه الله فى ذلك بخصايص لم توجد فى غيره ○ ثم تممها بنظافة
الشرع وخصال الفطرة العشر ○ وقال صلى الله عليه وسلم
بنى الدين على النظافة ○ حدثنا سفين بن العاصى وغير واحد قالوا
حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى
حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمن
عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا
اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ○ عن جابر بن سمرة
انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا
كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها

بصائح المصالح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف
من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار
انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب
الطيب ۞ ذكر البخاري في تاريخه الكبير ۞ عن جابر لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه
من طيبه ۞ ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب
صلى الله عليه وسلم ۞ وروى المزني عن جابر اردفني النبي صلى الله
عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا ۞
وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمايله صلى الله عليه وسلم انه كان
واذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت
لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم ۞ واسند محمد بن سعد كاتب
الواقدي في هذا الجزء عن عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي
صلى الله عليه وسلم انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى
فقال يا عايشة وما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى
منه شيء ۞ وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل
العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم ۞ وهو قول بعض
اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله ۞ وقد
حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع
في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع
الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله وسلم لم يكن منه شيء يكره
ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله
عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت

حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجد مثلها قط ۞ ومثله قال
ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه
شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله
عليه وسلم ذلك له وقوله له لن تصيبه النار ۞ ومثله شرب عبد الله
بن زبير دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس ويل
لهم منك ولم ينكره عليه ۞ وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت
بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يأمر واحدا منهم
بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح
الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة
بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي
صلى الله عليه وسلم ۞ قالت فكان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال
فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت
قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم ۞ روى حديثها ابن جريج
وغيره ۞ وكان صلى الله عليه وسلم ۞ قد ولد مختونا مقطوع
السرة ۞ وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به
قذر ۞ وعن عايشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم قط ۞ وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى
الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه
وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ ۞ قال
عكرمة لانه كان صلى الله وسلم محفوظا ۞

فصل واما وفور عقله

وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمايله
فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تأمل تدبيره امر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمايله وبديع
سيره فضلا اما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا
ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله
وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه
وقد قال وهب بن منبه قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت
في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم
رأياً ۞ وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ۞ ان الله تعالى لم يعط جميع
الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى
الله عليه وسلم الا كحبة رمل بين رمال الدنيا ۞ وقال مجاهد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه
كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين ۞
وفي الموطا عنه عليه السلام اني لاريكم من وراء ظهري ونحوه عن
انس في الصحيحين وعن عايشة رضي الله عنها ۞ قالت زيادة
زاده الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي
كما انظر الى من بين يدي ۞ وفي اخرى اني لابصر من قفائي كما ابصر من بين
يدي ۞ وحكى بقي بن مخلد عن عايشة رضي الله عنها كان النبي
صلى الله عليه وسلم يرى ۞ في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة
صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع
النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حين بنى مسجده ۞ وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا
احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد

بن حنبل

بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه
ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد
عبد الله بن احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثنا
ام القسم بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد
الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان
حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء
مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا
الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى ۞ وقد جاءت
الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع
ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلث مرات كل ذلك
يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله
عنه ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه
كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته
ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى تقلعا كانما ينحط
من صبب

فصل واما فصاحة اللسان

وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل
الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز
مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف
اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب
يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها
في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح

كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد كلامه مع ذي المعشار
الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس
ووايل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه
الى همدان ان لكم فرعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون
عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من
الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم
بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر
له الثمد وبارك لهم في المال والولد من اقام الصلوة كان
مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله
كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك
لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم
في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب
والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم
تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى
فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه وفي التيعة شاة ولا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا
الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل
على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان
كلام هولاء على هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم

هذه الالفاظ

هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس
بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي
المنطية واليد السفلى هي المنطاة فكلمنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر
واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة
فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب
ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ
دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس
كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى
له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن
وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت
فسلم اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي
واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين
يألفون ويؤلفون وقوله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال
وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد
البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم
القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة تهدي بها قلبي
وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء

اللهم انى اسئلك الفوز فى القضاء ونزل الشهداء • وعيش السعداء
والنصر على الاعداء الى مادوة الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته
وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما الاخلاف انه نزل من ذلك
مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت
من كلماته التى لم يسبق اليها ولا قدر لاحد ان يفرغ فى قالبه عليها • كقوله
حمى الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين • والسعيد
من وعظ بغيره فى اخواتها ما يدرك الناظر العجب فى مضمنها ويذهب به
الفكر فى ادانى حكمها • وقد قال له اصحابه ما راينا الذى هو افصح منك
فقال وما يمنعنى وانما انزل القران بلسانى عربى مبين • وقال
مرة اخرى بيد انى من قريش ونشأت فى بنى سعد فجمع له بذلك
صلى الله عليه وسلم • قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة
الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهى الذى مدده الوحى
الذى لا يحيط بعلمه بشرى • وقالت ام معبد فى وصفها له
حلو المنطق فصل لا نذر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان
جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل واما شرف نسبه وكرم بلده

ومنشئه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه
فانه نخبة بنى هاشم سلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا
من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة ومن اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده
حدثنا قاضى القضاة حسين بن محمد الصدفى رحمه الله • حدثنا
القاضى ابو الوليد سليمان بن خلف • حدثنا ابو ذر عبد بن احمد حدثنا
ابو محمد السرخسى وابو اسحق وابو الهيثم • حدثنا محمد بن يوسف • حدثنا
محمد بن اسمعيل • حدثنا قتيبة بن سعيد • حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن •

عن عمر

الجزء الثالث ٣



عن عمرو عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعثت من خير قرون بنى ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى
كنت منه • وعن العباس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فجعلنى من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلنى
من خير قبيلة • ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا
وخيرهم بيتا • وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد
اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى
هاشم واصطفانى من بنى هاشم • قال الترمذى وهذا حديث
صحيح وفى حديث عن ابن عمر رضى الله عنهما رواه الطبرى انه صلى الله عليه
وسلم • قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى ادم ثم اختار بنى ادم
فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا
فاختار بنى هاشم ثم بنى هاشم فاختارنى منهم فلم ازل خيارا من خيار
الا من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم •
وعن ابن عباس ان قريشا كان نورا بين يدى الله تعالى قبل ان يخلق
ادم بالفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملئكة بتسبيحه فلما خلق الله
ادم القى ذلك النور فى صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهبطنى الله الى الارض فى صلب ادم وجعلنى فى صلب نوح وقذف بى
فى صلب ابراهيم لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة
هذا الخبر شعر العباس فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم المشهور •

فصل واما تدعو ضرورة

الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل فى قلته وضرب

الفضل في كثرته وضرب يختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته
اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكما
تمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم
والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء
الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك
النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان
كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب
للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته
عن موته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل
متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب
واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد
عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به
وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو الفضل
الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر
بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية بن صالح ان يحيى ابن
جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري
بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا
كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه
وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي

وعن عايشة

وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا
قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل
وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا حديث بريرة وقوله
الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم
اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ رآهم لا يقدموه اليه مع
علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه
من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني
اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث
قوله صلى الله عليه اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد
في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس
على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه
والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك
نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة
ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه
على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدوء
القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر
فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول اذا نام النائم على الايمن
تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل والضرب الثاني ما يتفق

التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه

شرعاً وعادةً فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته
عادة معروفةً والتمادح به سيرة ماضية ۞ واما في الشرع فسنة مأثورة
وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساءً مشيراً اليه صلى
الله عليه وسلم ۞ وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا فاني مباهٍ
بكم الامم ونهى عن التبتل معما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذين
نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد ۞
قال سهل بن عبد الله قد حُبِّبن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن
ونحوه لابن عُيَينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله عنهم كثيري الزوجات
والسراري كثيري النكاح ۞ وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر
وغيرهم رضي الله عنهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزباً
فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل ۞ وهذا يحيى
بن زكريا عليه السلام قد اثنى الله عليه انه كان حصوراً ۞ فكيف
يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة ۞ وهذا عيسى عليه السلام تبتل
من النساء ولو كان كما قررته لنكح ۞ فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى
بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوباً او لا ذكر له بل قد انكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق
بالانبياء عليهم السلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها
كانه حصر عنها وقيل مانعاً نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة
في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص ۞
وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام
او بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها
مشغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها

وملكها

وملكها وقام بالواجب فيها ولم يشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا
صلى الله عليه وسلم لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن
وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره ۞ فقال عليه السلام
حُبب الي من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النساء اللذين من امور
دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للآخرة للفوائد التي ذكرناها
في التزوج وللقاء الملئكة في الطيب ولانه ايضاً مما يحض على الجماع ويعين
عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته
وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالتين ۞ فقال وجعلت قرة
عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة
بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا
واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره ۞ وقد
روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل
والنهار وهن احدى عشرة ۞ قال انس وكنا نتحدث انه اعطي
قوة ثلثين رجلاً خرجه النسائي وروي نحوه وعن ابي رافع وعن طاوس
اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان
بن سليم ۞ وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه
التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب
وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة
رجل وكان له ثلثمائة امرأة وثلثمائة سرية ۞ وحكي انها سبع مائة
امرأة وثلثمائة سرية ۞ وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله ۞

من عمل يده لتسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة ۞ وقد نبه على
ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ۞
وفي حديث انس عنه عليه السلام ۞ فضلت على الناس باربع • بالسخا •
والشجاعة • وكثرة الجماع • وقوة البطش • ۞ واما الجاه فمحمود عند
العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب ۞ وقد قال تعالى
في صفة عيسى عليه السلام ۞ وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة
فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح
ضده ۞ وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله
عليه وسلم ۞ قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند
الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه
خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك
معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما
روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة
عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد
فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره
بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنا هذا الفصل
نظمنا هذا القسم باسره ۞

فصل واما الفقر الثالث

فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله
ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها
توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات

من اعزه

من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة
من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه
البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان
فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه
وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم
يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة
فاذا التمدح بالمال وفضيلته اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير
ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا
غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط
عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء
والمنفق ملي غني بتحصيل فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر
سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض
ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه
في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب
وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك
الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه
في مصارفه واغنى به غيره وقوى به المؤمنون ۞ وقال ما يسرني ان لي
احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير
مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم
حتى قام وقسمها وقال الان استرحت ومات صلى الله عليه
وسلم ۞ ودرعه مرهونة في نفقة عياله ۞ واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده

فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهات في الملابس والتزين
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود
منها نقاوة الثوب والتوسط في جلسه وكونه لبس مثله غير مسقط فيه في العادة
عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي
بجودة المساكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض
وهو صلى الله عليه وسلم وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو
جائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها في الفخر
ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق

الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم
المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها
ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة
وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها كانت خلق نبينا صلى الله عليه
وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله عليه بذلك
فقال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان
خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله عليه وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول
فطرته لم يحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية
وهكذا لسائر الانبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى

مبعثهم

مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم
عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم
والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال
المفسرون اعطى يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال معمر
كان ابن سنتين او ثلث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت
وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن
ثلث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن
امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية
له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني
على من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه
في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال
ففهمناها سليمان وكلا اتيناه حكما وعلما وقد ذكر حكم سليمان وهو
صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه
وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك
قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله
ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال
ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث
الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم في النار ومحنته
كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن تسع سنين
وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس وهو ابن خمسة عشر شهرا
وقيل اوحى الله الى يوسف وهو صبي عند ما هم اخوته بالقائه في الجب
بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم الاية الى غير ذلك من اخبارهم

وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمداً صلى الله عليه
وسلم ولد حين ولد باسطاً يديه إلى الأرض رافعاً رأسه إلى السماء ۞ وقال
في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر
ولم أهمّ بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم
لم أعد ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف
في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى بالنبوة في تحصيل
هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى
ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً ۞ وقد نجد غيرهم يطبع على بعض
هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية
من الله تعالى كما نشاهد خلقة بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة
أو صدق اللسان أو السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب
يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له
ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة ۞
وحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد
وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب
ما أصلناه ۞ وقد روى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ۞ قال
كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب ۞ وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث
يشاء وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر أصولها
ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله تعالى ۞

فصل وأما أصل فروعها وعنصر

ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع

عن هذا

عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر
للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير
واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد أشرنا إلى مكانه منه صلى الله عليه
وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله
من ذلك مما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع
جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة
والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب
الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم
الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة
وإشاراته حجة كالطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما
سنبينه في معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة
كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك
حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث
عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظراً فلا نطول بسرد
الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ
جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله
وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته ۞
قال الله تعالى ۞ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ۞
حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك
أو ينتهي إليه

فصل وأما الحلم والاحتمال

والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الألقاب فرق فإن الحلم
حالة توقير وثبات عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند
الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة ۞ وأما العفو فهو

ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم
فقال خذ العفو وأمر بالعرف الاية روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت هذه الاية سال جبريل عن تأويلها فقال له حتى اسئل العالم ثم
ذهب ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك وقال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الاية
وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه
واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت منه هفوة وهو صلى
الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن على التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن
عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد
الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله
فينتقم لله بها وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته
وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم
فقال انى لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي
فانهم لا يعلمون وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه
بابي وانت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا ولقد وطئ
ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل

رضي الله

رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من اجماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن
الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم
على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم
فقال اللهم اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل
اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له
ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل
ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما
تصدى له غورث ابن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم
منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال
ما يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى
الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ فتركه وعفى عنه
فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو
عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية
وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا
عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه
من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار
بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس قال كنت
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه
جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال
يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي
من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

المال مال الله وانا عبده ثم قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة
السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير
ولا الاخر تمر ۞ قالت عايشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم
وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ۞
ولا امرأة وجيء اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه
زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه
واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ۞ ثم قال انكم يا بني مطلب مطل فانتهره
عمر رضي الله عنه وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك
احوج يا عمر تأمرني بحسن القضا وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد
بقي من اجله ثلث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان
سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء
وقد عرفتها في محمد الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة
الجهل عليه الا حلما ۞ فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه
السلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه
مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره
على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم
الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شأفتهم
وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفى وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم
قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء ۞ وقال انس هبط

ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف
ايديهم عنكم الآية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب
اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفى عنه ولاطفه في القول
ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي
ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ ابعد
الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم ۞

فصل واما الجود والكرم والسخا

والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم
الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد
النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد
الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود
وهو ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق
الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه ۞ حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي حدثنا ابو ذر الهروي
حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي حدثنا
ابو عبد الله الفربري ۞ حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير اخبرنا سفيان
عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله
عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله ۞ وقال
ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود
ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليهما السلام اجود بالخير
من الريح المرسلة ۞ وعن انس ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة

واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت
حالته صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة انك تحمل
الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى
العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت
على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه
فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا
فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت
ذكره الترمذي وذكر عن معوذ ابن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفيه
حليا وذهبا وقال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر
شيئا لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير وعن ابي
هريرة قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف
له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه
فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل

فصل واما الشجاعة والنجدة

فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس
عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى
الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة
وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا
يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سوى
حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب الي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا

ابو محمد

٨

ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن ابي
اسحق سمع البراء وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال
لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله
عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل
فما رئي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه
وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو
سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال
ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس
ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي
صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا
وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو
لقربه منه وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود
الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل
الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت
واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا
وقال عمران بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول

من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعرا عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة

فصل واما الحياء والاغضاء

والحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر ولا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله

وسلم

وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان كذى ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة ولم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاصي وروي عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل واما حسن عشرته وادبه

وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله في وصفه عليه السلام كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما

ان تنصرف فانصرف ۞ وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها
وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن احد منهم بشره
ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس
بسطه وخلقه وصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه
ابن ابى هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس
بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى
ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الاية
وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافى عليها ۞
قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال
لى اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن
عائشة رضى الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك ۞ وقال
جرير بن عبد الله ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت
ولا رآنى الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب
صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين
ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر ۞ قال انس ما التقم
احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو
الذى ينحى رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر
ولم ير مقدما بالمصافحة لم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له وكان

الجزء الرابع ٤



يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين
يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة
التى تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكنى اصحابه ويدعوهم باحب
اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهى او
قيام ويروى بانتهاء او قيام ۞ ويروى انه كان لا يجلس اليه احد وهو
يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب
قال عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ۞ وعن انس كان خدم المدينة يأتون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ۞ اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بانية
الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك ۞

فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة

لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤف رحيم ۞ وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ۞
قال بعضهم ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم
وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن
محمد الخشنى بقراءتى عليه حدثنا امام الحرمين ابو على الطبرى حدثنا عبد الغافر
الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى حدثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا مسلم
بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال
فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة
ثم مائة ۞ قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله
لقد اعطانى ما اعطانى وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه لاحب

الخلق الى ۞ وروى ان اعربيا جاءه يطلب منه شيأ فاعطاه ثم قال
احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت وغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار
اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيأ ثم قال له
احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك شيء فان
احببت فقل بين ايديهم ما قلت لدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغدا والعشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا
الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي كذلك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا ۞ فقال صلى الله عليه مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة
شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناديهم صاحبها خلو بيني
وبين ناقتي فاني بها ارفق منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام
الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها
واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ۞ وروى
عنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي
شيأ فاني احب ان اخرج اليكم سليم الصدر ۞ ومن شفقته على امته
عليه الصلاة والسلام تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة
ان يعرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
عند كل وضوء وحبس صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكرهته دخول
الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنهم لهم رحمة
بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ۞ ومن شفقته على امته
صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته
فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم
القيمة ۞ ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله تعالى

قدسمع

قدسمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال وسلم عليه وقال
مرني بما شئت ان شئت اطبق عليهم الاخشبين ۞ قال النبي صلى الله عليه
وسلم بل ارجوان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به
شيأ ۞ وروى بن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اوخر
عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم ۞ قالت عايشة رضي الله عنها
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ۞ وقال
ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة
علينا وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق ۞

فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم

في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم ۞ فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن
اسمعيل بقرائتي عليه ۞ قال حدثنا ابوبكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق
الحبال ۞ حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا بن الاعرابي حدثنا ابو داود
حدثنا محمد بن يحيى ۞ حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابرهيم بن طهمان عن
بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي
الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث
وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث
فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي ها هنا منذ ثلث
انتظرك ۞ وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اوتي بهدية
قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها
كانت تحب خديجة ۞ وعن عايشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امراة
ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة ۞

فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة
فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام
خديجة وان حسن العهد من الايمان ۞ ووصفه بعضهم فقال كان
يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم ۞ وقال
صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحمًا ۞
سابلها ببلالها وقد صلى الله عليه وسلم بامامة ابنة ابنته زينب يحملها
على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها ۞ وعن ابي قتادة وفد وفد
للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ۞
ولما جيء باخته من الرضاعة شيما في سبايا هوازن وتعرفت له بسط
لها رداءه ۞ وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك
ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها ۞ وقال ابو الطفيل
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه
فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه ارضعته ۞
وعن عمر بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسًا
يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت
امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه ۞
من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه
وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت
سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد ۞ وفي حديث خديجة رضي الله
عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك
الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق ۞ فصل

فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم

على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا
وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون
نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له
انك سيد ولد آدم يوم القيمة ۞ واول من تنشق الارض عنه واول شافع
حدثنا ابو الوليد بن عود الفقيه رحمه الله بقرائتي عليه في منزله بقرطبة
سنة سبع وخمس مائة قال حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر
حدثنا بن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن
ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس
عن ابن مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ۞ متوكئا على عصى فقمنا اليه فقال لا تقوموا
كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضًا ۞ وقال انما انا عبد آكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد ۞ وكان يركب الحمار ويردف خلفه ۞
ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين
اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس ۞ وفي حديث عمر
لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وعن انس ان امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة
فقال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك
حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه
وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها ۞ قال انس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم
بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان
يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله

عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوى اربعة دراهم فقال اللهم
اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى فى حجة
ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا
على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه
صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس بن متى ولا تفضلوا بين
الانبياء ولا تخيرونى على موسى ونحن احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت
ما لبث يوسف فى السجن لاجبت الداعى وقال للذى قال له يا خير البرية
قال ذاك ابرهيم وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله
وعن عايشة والحسن وابى سعيد الخدرى وغيره فى صفته وبعضهم يزيد
على بعض وكان فى بيته فى مهنة اهله يفلى ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه
ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه
وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن
انس قال ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضى حاجتها ودخل
عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فانى
لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد وعن ابى هريرة
دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال
للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى النبى صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك
انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحملها فقال
صاحب الشىء احق بشيئه ان يحمله

فصل واما عدله صلى الله

عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم

امن الناس

امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف
له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن
اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال الله
تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما
اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول
داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا
هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء وامين فى الارض حدثنا
ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى
بن زوج الحرة ثنا ابو على السنجى ثنا ابو محمد بن محبوب المروزى ثنا ابو
عيسى الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معوية بن هشام عن سفيان عن ابى اسحق
عن ناجية بن كعب عن على ان ابا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك
الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان
الاخنس بن شريق لقى ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا
غيرى وغيرك يسمع كلامنا تخبرنى عن محمد صادق ام كاذب فقال
ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسئل
هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول
ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد
فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى
اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو
بساحر وفى الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك

رقفها ۞ وفي حديث علي في وصفه عليه السلام أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عايشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما ابعد الناس منه ۞ قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج ۞ قال ابن الخالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ۞ ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزاء نهاره ثلثة اجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر ۞ وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد ۞ وذكر ابو جعفر الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كانت الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته ۞ قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت الى اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب باذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء ۞

فصل وأما وقاره صلى الله

عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا ابو علي

الجياني

الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي انا ابو ذر الهروي انا ابو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن ابن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا ۞ وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصا وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير ۞ وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب ۞ وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان ۞ وقال عبد الله ابن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ۞ وعن جابر بن عبد الله قال كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل ۞ قال ابن هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر ۞ وقالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه ۞ كان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلوة ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة

فصل واما زهده في الدنيا

فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها
واعراضه عن زهرتها قد سيقت اليه بحذافيرها وترادف عليه فتوحها
الى ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله
وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي
والحسن ابن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر
قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابو سفيان
حدثنا ابو سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن شيبة حدثنا
ابو معوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله
وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما
لا يخطر بباله ۞ وفي رواية لحزي ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خبز بر حتى لقي الله ۞ وقالت عايشة ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ۞ وفي حديث عمر
بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة ۞ قالت
عايشة ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف
لي ۞ وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء ذهبا فقلت لا يا رب
اجوع يوما واشبع يوما ۞ فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك
وادعوك ۞ واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك ۞ وفي حديث
اخر ان جبريل نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب
ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة
ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها
من لا عقل له ۞ فقال له جبريل ثبتك يا محمد بالقول الثابت ۞ وعن عايشة
قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء

وعن عبد الرحمن

٣٥

وعن عبد الرحمن ابن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ ولم يشبع هو
واهل بيته من خبز الشعير ۞ وعن عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتابعة
طاويا لا يجدون عشاء ۞ وعن انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط ۞ وعن
عايشة رضي الله عنها انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف ۞
وعن حفصة رضي الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته
مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اربع قال
ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطائه
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى
يؤثر في جنبه ۞ وعن عايشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه
وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى
وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه
ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي
وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم
فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من
شيء هو احب الي من اللحوق باخواني اخلائي ۞ قالت رضي
الله عنها فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم ۞

فصل واما خوفه ربه وطاعته

له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن

عتاب قرأة مني عليه قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسي حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا محمد
بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب
عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في
روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر انى ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع
الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجأرون الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني
شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان
يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي
هريرة وقالت عايشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول
ما يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه ابن عباس وام سلمة
وانس وقالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا ولا نايما الا
رأيته نايما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ
فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر باية عذاب
الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان
ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ

آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال
سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه حتى قرأ البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة وعن عايشة رضي الله عنها قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القرآن ليلة وعن عبد الله
الشخير رضي الله عنه اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
مصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن هالة رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست
له راحة قال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم
مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي
والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي
والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي
والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث
اخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي

فصل اعلم وفقنا الله واياك

ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق
وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي
هذه الصفة لانها صفات الكمال والتمام البشري والفضل الجميع
لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات
ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وقال الله تعالى ولقد اخترناهم على العالمين
وقد قال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة
القمر ليلة البدر ثم قال عليه السلام اخر الحديث على خلق رجل

رجل وحدٍ على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السما
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى عليه السلام فاذا هو رجل
ضرب رجل افني كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى عليه السلام
فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس
وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم
به وقال في حديث آخر في صفة موسى كاحسن ما انت راءٍ من ادم
الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى
من بعد لوط نبيا الا في ذروةٍ من قومه وروي في ثروة اي كثرة ومنعة
وحكى الترمذي عن قتادة ورواه دارقطني من حديث قتادة عن انس
رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان
نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال الله تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
وقال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث
حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى قوله من الصالحين وقال
ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل عمران الايتين وقال الله تعالى
في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه
المسيح الى قوله الصالحين وقال اني عبد الله آتاني الكتاب
الى دمت حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الاية قال النبي صلى الله
عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء
استحياء الحديث وقال الله تعالى عنه فوهب لي ربي حكما
وقال الله تعالى في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين
وقال ان خير من استأجرت القوي الامين وقال الله تعالى

فاصبر

فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم
باوصاف جمة من الصلاة والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال
فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم الى قوله امين وقال ستجدني ان شاء الله
من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين وقال
في موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب وقال الله تعالى
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى قوله
الاخيار وفي داوود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة
وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ
عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وقال عن شعيب
ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال وما اريد من ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات
الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثرة وذكر فيها من
خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك
في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث
انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان
سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا
لله وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه
يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على
الريح في جنوده فيأمر الريح فيقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل يوسف

مالك تجوع وانت على خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايع
وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القرآن فكان يأمر
بدوابه فتسرج فيقرء القرآن قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده
قال الله تعالى ۞ والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد
وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله ۞ وقال
عليه السلام احب الصلاة الى الله صلوة داود احب الصيام الى الله
صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم
يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز
الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة
ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها
وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده
اخدودا ۞ وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء
عليه فيزداد تواضعا ۞ وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت لك حمارا
قال انا اكرم على الله عز وجل من ان يشغلني بحمار وكان يلبس
الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب
الاسامي ان يقال له مسكين ۞ وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد
ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال ۞ وقال عليه
السلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك
احب اليهم من العطاء اليكم ۞ وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه
اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره اعود لساني النطق بسوء
وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله
حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط
الناس ۞ وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعرش

وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا
لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال
وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول
بها ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف
هذا

فصل قد اتينا اكرمك الله

من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناه
صحتها له صلى الله عليه وسلم ۞ وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع
فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء
وبحر علم خصايصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره
في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا ذلك بقل من كل وغيض
من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي
هالة لجمعه وشمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره
وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي
ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمس
مائة ۞ قال حدثنا الامام ابو القسم عبد الله بن طاهر التميمي
فيما قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن حسن
النشابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي
والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوحشي قالوا اخبرنا ابو القاسم
علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال اخبرنا ابو سعيد الهيثم
بن كليب الشاشي ۞ قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ
قال حدثنا سفيان بن وكيع ۞ حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي
املاء من كتابه ۞ قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة
زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة

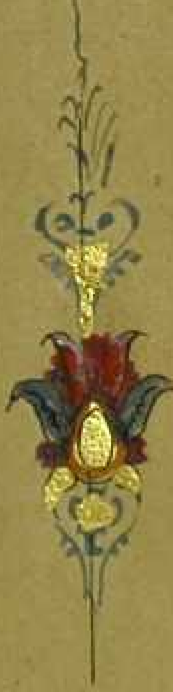
عن الحسن بن علي بن ابي طالب رحمه الله قال سألت خالي هند بن
ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد
بن حسن بن احمد بن خداداد الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ
الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا انا ابو علي الحسن بن
احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مقرن الفارسي
قراءة عليه فاقر به قال انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن
بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن حسين بن علي بن ابي طالب
المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق
بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب قال حدثني
علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن
بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال الحسن بن علي
واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق
به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألؤ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب
عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز
شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب
سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور
يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين
ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد
دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن
والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس
انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري

الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل
الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف سبط
العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال
زال تقلعا ويخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط
من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره
الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام
قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل
السكوت يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا
لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان
دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض
للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار بكفه
كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته
اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه
التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن الحسين
بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه
شيئا قال الحسين سألت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في
ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله تعالى
وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد
ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته
في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم

في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل
بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم
بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة
من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع
ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل
من احد غيره ۞ قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا
يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء ۞ قلت فأخبرني
مخرجه كيف كان يصنع فيه ۞ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم
ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد
بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن
ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة
ان يغفلوا او يميلوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى
غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم
عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع
فيه ۞ فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس
حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب
جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى
يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور ۞
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا
عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى ۞ وفي رواية الاخرى
وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع

فيه

الجزء الخامس



فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الرواية
يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير
ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه
وسلم في جلسائه ۞ فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم
البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش
ولا عتاب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه
من ثلاث من الريا والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلث كان لا يذم
احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير ۞ واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده
الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى تفرغ حديثهم حديث اولهم ۞
يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على
الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه
ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه
بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر ۞ قلت
كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم ۞ قال كان سكوته على اربع
على الحلم والحذر والتقدير والتفكر ۞ فاما تقديره ففي تسوية النظر
والاستماع بين الناس ۞ واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم
صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له
في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهي واجتهاد
الرأي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة ۞
انتهى الوصف بحمد الله وعونه

فصل في تفسير غريب هذا الحديث

ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله

فى الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذى كانه مشط
فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اراد ان انفرقت
من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر
اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها
وهذا كما قال فى الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا
بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله
فى الحديث الاخر ابيض مشرب اى فى حمرة والحاجب الازج المقوس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السايل الانف المرتفع وسطه والاشم
الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع
فى حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة
وفى الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذى فى بياضها حمرة
والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزز
فيها كما يوجد فى اسنان الشاب والفلج فرق بين الثنايا والدقيق المسربة
خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل
الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الاخر لم يكن بالمطهم
ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الذقن وسوا
البطن والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة
فتكون من الاقبال وهو احد معانى اشاح اى انه كان بادى الصدر
ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سوا
البطن والصدر ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ
مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى ۞ وحكاه
ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الاخر
جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين

وشثن

وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسايل
الاطراف اى طويل الاصابع ۞ وذكر ابن الانبارى انه روى سايل الاطراف
او قال ساين بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت
الرواية بها ۞ واما الرواية الاخرى وساير الاطراف فاشارة الى فخامة
جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة اى واسعها وقيل كناية
عن سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين اى متجافى اخمص القدم وهو
الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اى ملسهما
ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة خلاف هذا قال فيه
اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح
القدمين وبه قالوا سمى المسيح بن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم
عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل
بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار
والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة ويمد
خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت
دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه اى سعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم ۞
واشاح مال وانقبض وحب الغمام والبرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة
على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه
للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء اخر بالعامة
ويدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون
الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى
فى الغالب والاكثر والعتاد العدة والشىء الحاضر المعد والموازرة المعاونة
وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد

عن هذا مفسّرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه
ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرون بسوء ولا تنثى فلتاته اي تحدث بها اي
لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون ويعينون والسخّاب
الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافيء قيل مقتصد في ثنائه
ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافي على يد سبقت من النبي
صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث لحز وصقر
منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم
البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله تعالى واعلاهم
درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد
اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الاول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل
وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب
اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال حدثنا
ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القسم بنت ابو بكر بن يعقوب عن ابيها
حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني
حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم
قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين
ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب

الميمنة

٢٤

الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ فانا من السابقين وانا خير
السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله
وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر
ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا
يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد
وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر
وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة
رضي الله عنها عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض
ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم
وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة
اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هكذا فما ركبك
احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي الله عنه
عنه عليه السلام لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني
في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل
ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي
لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ۞ الجم نسرا واهله الغرق ۞
تنقل من صالب الى رحم ۞ اذا مضى عالم طبق ۞

روى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم انه قال اعطيت خمسا وفى بعضها ستا لم يعطهن نبى قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنايم ولم تحل لنبى قبلى وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفى رواية اخرى بدل هذه الكلمة وقيل لى سل تعطه وفى رواية اخرى وعرضت على امتى فلم يخف على التابع من المتبوع وفى رواية اخرى بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفى الحديث عن ابى هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جىء بمفاتيح خزاين الارض فوضعت فى يدى وفى رواية عنه وختم بى النبيون ۞ وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام انى فرط لكم وانا شهيد عليكم وانى والله لانظر الى حوضى الان وانى قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى ولكنى اخاف عليكم ان تنافسوا فيها ۞ وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبى الامى لا نبى بعدى اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدى الساعة ومن رواية بن وهب انه صلى الله عليه وسلم عليه قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا ۞ وكلمت

موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمى ينادى به فى جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشى فى الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبى غيرك ۞ وفى حديث اخر رواه حذيفة بشرنى يعنى ربه اول من تدخل الجنة معى من امتى سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطانى ان لا تجوع امتى ولا تغلب واعطانى النصر والعزة والرعب يسعى من بين امتى شهرا وطيب لى ولامتى المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا فى الدين من حرج ۞ وعن ابى هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبى من الانبياء الا وقد اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الله الى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة ۞ معنى هذا عند المحققين بقا معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات ۞ وعن على رضى الله عنه كل نبى اعطى سبعة نجباء من امته واعطى نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ، ابو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وعمار ، وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار ۞ وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى

عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته ودعوت ابي ابراهيم
وبشارة عيسى بن مريم ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء
صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله قال
لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد
انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ۞ وقال لمحمد وما ارسلناك الا
كافة للناس ۞ وعن خالد بن معدان رضي الله عنه ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
وقد روى نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي
الله عنهم فقال عليه الصلاة والسلام نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني
قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين
حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاء ني
رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلثة رجال بطست
من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث
من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه
علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه
قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار
الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ۞ ثم اعاده مكانه وامر
الاخر يده على مفرق صدري فالتأم ۞ وفي رواية اخرى ان جبريل
قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان
ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم

ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ۞ ثم قال زنه بالف
من امته فوزنني بهم فوزنتهم ۞ ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها
قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني
ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك ۞
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملئكته
قال في حديث ابي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى
الامر معاينة ۞ وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان
ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل
توبتي فقال له الله من ابن عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت
انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل
قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية الاخرى فقال
ادم عليه السلام لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله ۞ فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك
ممن جعلت اسمه مع اسمك ۞ فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه
لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم عليه
السلام يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر ۞ وروى عن سريج بن
يونس رحمه الله انه قال ان الله ملئكة سياحين عبادتها زيارة
كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ۞ وروى
ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب ۞ لا اله الا الله
محمد رسول الله ايدته بعلي ۞ وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله
عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه

عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته ودعوة ابي ابراهيم
وبشارة عيسى بن مريم ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
ان الله فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء
صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله قال
لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية وقال لمحمد
انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ۞ وقال لمحمد وما ارسلناك الا
كافة للناس ۞ وعن خالد بن معدان رضي الله عنه ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي
الله عنهم فقال عليه الصلاة والسلام نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني
قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين
حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني
رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست
من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث
من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه
علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه
قال في حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار
الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ۞ ثم اعاده مكانه وامر
الآخر يده على مفرق صدري فالتأم ۞ وفي رواية اخرى ان جبريل
قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان
ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم

ثم قال

ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ۞ ثم قال زنه بالف
من امته فوزنني بهم فوزنتهم ۞ ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها
قال في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني
ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك ۞
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته
قال في حديث ابي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان وليا عني فكأنما ارى
الامر معاينة ۞ وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان
آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل
توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت
انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل
قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية الاخرى فقال
آدم عليه السلام لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله ۞ فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك
ممن جعلت اسمه مع اسمك ۞ فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه
لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم عليه
السلام يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر ۞ وروي عن سريج بن
يونس رحمه الله انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها زيارة
كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ۞ وروى
ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب ۞ لا اله الا الله
محمد رسول الله ايدته بعلي ۞ وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله
عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه

مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف
يضحك لمن يرى الدنيا ونقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا
اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله عنهما على
باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب
من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح
وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خرسان مولود
ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله
وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا
الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه رحمهما الله اذا
كان يوم القيمة ينادي مناد لا يقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرمة
اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن ذهب في جامعه
عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا
وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر قلوب العباد
فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه
برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما
كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا الاية
قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم
تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة

الاسراء من المناجات والرؤية وامامة الانبياء عليهم السلام والعروج
به الى سدرة المنتهى وما رأى من ايات ربه الكبرى ومن خصائصه
عليه السلام قصة الاسرى وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه

عليه الكتاب العزيز وشرحه صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قال الله تعالى
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى الى قوله لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى فلا خلاف بين
المسلمين في صحة الاسرى به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القران وجاءت
بتفصيله وشرح عجايبه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيه
احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب
ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما
والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس
العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة
حدثنا ثابت البناني عن انس ابن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اوتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت
بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد
فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث اليه قال بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى
بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر
مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم فاذا هو قد

اعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ۞ ثم عرج بنا الى السماء الرابعة
فذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير ۞ قال الله تعالى
ورفعناه مكانا عليا ۞ ثم عرج بي الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا
بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر
مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ۞ ثم عرج بنا الى السماء السابعة
فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ۞ ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى
واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال ۞ قال فلما غشيها
من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من
حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
فنزلت الى موسى فقال ما فرض على امتك قلت خمسين صلاة قال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت
بني اسرائيل وخبرتهم ۞ قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي
فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع
بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال ۞ يا محمد انهن خمس صلوات
كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم
يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة ۞ قال فنزلت حتى
انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت
منه ۞ قال القاضي رضي الله عنه جود ثابت رضي الله عنه هذا الحديث
عن انس رضي الله عنه ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد

خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لاسيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد
ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم ۞ وهذا انما كان
وهو صبي قبل الوحي ۞ وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى
اليه وذكر قصة الاسرى ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال
غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا ۞ وقد روى ثابت
عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة
من حديث الاسرا وكما رواه الناس فجوده في القصتين ۞ وفي ان الاسراء
الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى البيت المقدس
ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره ۞ وقد روى يونس عن
ابن شهاب عن انس رضي الله عنه قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة ۞
وروى قتادة الحديث بمثله عن انس بن مالك رضي الله عنه بن صعصعة
وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات
وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسرى زيادات
نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول
كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقالا
له والابن الصالح وفيه طريق ابن عباس رضي الله عنه ثم عرج بي
حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام ۞ وعن انس رضي الله
عنه ۞ ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري
ما هي قال ثم ادخلت الجنة ۞ وفي حديث مالك بن صعصعة

فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته
بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي ۝ وفي حديث ابي
هريرة وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقايل
يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام ۝
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى الصخرة فصلى مع الملئكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل
من هذا معك محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال
نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح
الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم
فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على
ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس
بشيرا ونذيرا ۝ وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة
وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي
صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن
سماء الى سماء نحو ما تقدم ۝ وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه وانتهى
بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب ۝ وفي رواية ابي هريرة
رضي الله عنه من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي
اليها كل احد من امتك خلى على سبيلك وهي سدرة المنتهى يخرج من اصلها
انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة ۝

للشاربين

للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما
وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملئكة ۝ قال
قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل
فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما ۝ وكلمت موسى
تكليما ۝ واتيت داود ملكا عظيما ۝ والنت له الحديد وسخرت له الجبال
واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص ۝ واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليها
سبيل ۝ فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية
محمد حبيب الرحمن ۝ وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم
الاولون هم الاخرون وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا
واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما
وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا
اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئا من امته المقحمات ۝ وقال ما كذب الفؤاد ما رأى ۝ الايتين
رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى
في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علي به فوق ذلك بما لا يعلمه
الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد ۝ وقد روي عن انس
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء عليهم السلام ۝
بيت المقدس ۝ وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل فوكز بين كتفي فقمت

الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت حتى
سدت الخافقين ولو شئت لمست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه
جلس لاطيء فعرفت فضل علمه بالله تعالى علىّ وفتح لي باب السماء ورأيت
النور الاعظم ولط دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الى
ماشاء ان يوحى الي ۞ وذكر البزاز عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لما اراد الله ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب
يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ماركبك عبد
اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى انتهى بها الى الحجاب
الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل من هذا قال والذي بعثك
بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل
ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر ۞ فقيل له من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل
من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا ۞ وذكر مثل هذا في بقية الاذان
الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح ۞ وقال
ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ۞ ونوح
قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه
وسلم الشرف على اهل السموات والارض ۞ قال القاضي رضي الله عنه
ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون ۞ والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر
محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف
شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله
في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب

حجبه

حجب به من وراءه من ملئكته عن الاطلاع على مادونه من سلطانه وعظمته و
عجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل
عن الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل
ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب
في تفسير سدرة المنتهى ۞ قال اليها ينتهي علم الملئكة وعندها يجدون
امر الله لا يجاوزها علمهم ۞ واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارف
مما هو اعلم به كما قال الله تعالى واسئل القرية اي اهلها ۞ فقوله فقيل
من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر وظاهره انه سمع في هذا الموطن
كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال الله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ۞ اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته
فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير
هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله اعلم

فصل ثم اختلف السلف والعلماء

رحمهم الله هل كان اسراء بروحه او جسده على ثلاث مقالات فذهبت
طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء
حق ووحي والى هذا ذهب معوية ۞ وحكي عن الحسن والمشهور عنه
عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك ۞ وما حكوا عن عايشة ما فقدت جسد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ۞ قوله بينا انا نائم وقول انس رضي الله عنه وهو
نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا
بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد ۞
وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس ، وجابر ، وانس ، ،

وحذيفة، وعمر، وابي هريرة، ومالك بن صعصعة، وابي حبة البدري
وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن
المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وابراهيم، ومسروق
ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو
قول الطبري، وابن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين وهذا قول اكثر
المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة
كان الاسراء بالجسد يقظة الى البيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا
بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى ۞ فجعل المسجد الاقصى غاية الاسرى الذي وقع التعجب فيه بعظيم
القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم واظهار الكرامة
له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زايد على المسجد
الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ۞ ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى
بيت المقدس ام لا ۞ ففي حديث انس رضي الله عنه وغيره ما تقدم من
صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا على ظهر
البراق حتى رجعا ۞ قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح
ان شاء الله انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية
وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل
الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان
مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر وما
طغى ۞ ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه
وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته بالانبياء ببيت المقدس

وفي رواية

في رواية انس رضي الله عنه او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل
عليه السلام بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك
فيقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقايه الانبياء فيها وخبرهم معه
وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك
وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل عليه السلام بيدي فعرج بي
الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام ۞ وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره
قال ابن عباس رضي الله عنه هي رؤيا عين راها النبي صلى الله عليه
وسلم لا رؤيا منام ۞ وعن الحسن رحمه الله بينا انا نايم في الحجر جاءني
جبريل عليه السلام فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي
ذكر ذلك فقال بالثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا
بدابة وذكر خبر البراق ۞ وعن ام هانئ رضي الله عنها ما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام
بيننا فلما كان قبل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى
الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما
رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم كما ترون الان وهذا بين في انه بجسمه ۞ وعن ابي بكر رضي الله عنه
من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة
اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجاب ان
جبريل عليه السلام حمله الى المسجد الاقصى ۞ وعن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في
مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه انية ثلث ۞
وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها

وعن ابي ذر رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة
فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى اخر
القصة ۞ ثم اخذ بيدي فعرج بي ۞ وعن انس رضي الله عنه اتيت
فانطلق بي الى زمزم فشرح عن صدري ۞ وعن ابي هريرة رضي الله عنه
لقد رايتني في الحجر وقريش يسئلني عن مسراي فسالتني عن اشياء
لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ۞ ونحوه
عن جابر رضي الله عنه وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ۞ في حديث
الاسرى عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في ابطال حجج من قال

انها احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله
سبحان الذي اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله تعالى
فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة
ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة
واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية
فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس
من ذلك وقيل غير هذا ۞ واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما
وقوله في حديث اخر بين النايم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم ۞
وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول
الملك اليه كان وهو نائم ۞ واول حمله والاسراء به وهو نايم وليس
في الحديث انه كان نايما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت
وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ
من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله
وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام ۞



لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه
من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق
ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ۞ ووجه ثالث ان يكون
نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه
حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال
بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا
يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاة
بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان
يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النايم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية
عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما قال مضطجع ۞ وفي رواية
هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ۞ وقوله
في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان ويكون سمى هيئته بالنوم لما كانت
هيئة النايم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر
شق البطن ودنو الرب الواقعة في الحديث انما هي من رواية شريك عن انس
رضي الله عنه فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة
انما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل
ان يبعث والاسرى باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في
رواية انس رضي الله عنه مع ان انسا قد بين من غير طريق انما رواه عن غيره
وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ۞ فقال مرة عن مالك بن
صعصعة رضي الله عنه في كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على
الشك ۞ وقال مرة كان ابو ذر يحدث ۞ واما قول عايشة
رضي الله عنها ما فقد جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها
لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد

على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول
الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت
نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة
بعام والاشبه انه لخمس والحجة ذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم
تشاهد ذلك عايشة رضي الله عنها دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم
يُرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصًا في حديث ام هاني
وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر لسنا نعني
حديث امهاني وما ذكرت فيه خديجة وايضًا فقد روي في حديث عايشة
ما فقدت جسده ولم يدخلها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل
هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون
رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا
نوم ووحي لا مشاهدة عين قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما
طغى وقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب
الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق
رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه

فصل واما رؤيته صلى الله عليه

وسلم ربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة رضي الله عنها
حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقرائتي عليه قال حدثني
ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث
حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه
وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن ادم حدثنا وكيع عن
ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة رضي الله عنها يا ام

المؤمنين

المؤمنين هل رأى محمد ربه عز وجل فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلث
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم
قرأت لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة
وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما رأى جبريل فاختلف
واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين
والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضي الله عنه انه راه بعينه وروى
عطاء عنه راه بقلبه وعن ابي عالية عنه راه بفؤاده مرتين وذكر
ابن اسحق ان ابن عمر رضي الله عنهما ارسل الى ابن عباس رضي الله عنهما يسئله
هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينيه روي ذلك
عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم
بالخلة ومحمدًا بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على
ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم
كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين
وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى
عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب رضي الله عنهم فقال
ابن عباس رضي الله عنه اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه
مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته
وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك
عن ابي ذر رضي الله عنه في تفسير الاية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم
ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس رضي الله
عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته
بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد

فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث ۞ وحكى عبد الرزاق ان الحسن رحمه الله
كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة
رحمه الله ۞ وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود رضي الله
عنه ۞ وحكى ابن اسحق ان مروان سأل ابا هريرة رضي الله عنه هل رأى
محمد ربه فقال نعم ۞ وحكى النقاش عن احمد بن حنبل رحمه الله انه
قال انا اقول بحديث ابن عباس رضي الله بعينه رآه رآه حتى انقطع
نفسه يعني نفس احمد ۞ وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رحمه الله
رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار ۞ وقال سعيد
بن جبير رضي الله عنه لا اقول رآه ولا لم يره ۞ وقد اختلف في تأويل
الاية ۞ عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود ۞ فحكى عن ابن
عباس وعكرمة رآه بقلبه ۞ وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل ۞
وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء
في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ۞ قال شرح صدره للرؤية و
شرح صدر موسى للكلام ۞ وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل
الاشعري وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه ۞ وقال
كل اية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا
وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال
ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون ۞ قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه ۞ والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة
عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال
موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى
وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني

اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا بما هو اقوى من بنية موسى
واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها
على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل
موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله
تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الاية واذ ليس يقتضي قول
من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها
على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه الابصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ۞ وقد قيل لا تدركه
الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك
لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق
موسى وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه
سبيل ۞ وقوله تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي ۞ وقد قال
ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا
وانه من نظر الي مات ۞ وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها
متغيرة عرضا للافات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة
وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية ۞ وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال
لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا
ابصارا باقية رأي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل
على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من يشاء

من عباده واقدده على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع فى حقه وقد تقدم ماذكر
فى قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية
منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم ۞ وقد ذكر القاضى
ابو بكر فى اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله
فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له
واستنبط ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول ۞ وقال
جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله
هذا يدل على ان موسى رآه ۞ وقد وقع لبعض المفسرين فى الجبل انه رآه
برؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم له اذ جعله
دليلا على الجواز ولا مرية فى الجواز اذ ليس فى الايات نص بالمنع ۞ واما
وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم ۞ والقول بانه رآه بعينه فليس فيه
قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتى النجم والتنازع فيهما مأثور
والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم
بذلك ۞ وحديث ابن عباس رضى الله عنهما خبر عن اعتقاده لم يسنده
الى النبى صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ۞ ومثله حديث
ابى ذر رضى الله عنه فى تفسير الاية ۞ وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو
مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابى ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروى
نور انى اراه ۞ وحكى بعض شيوخنا انه روى نورانى اراه ۞ وفى حديثه
الاخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها
على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما
رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى يرجع هذا قوله نور انى

اراه اى كيف اراه مع حجاب النور المغشى للبصر وهذا مثل ما فى الحديث الاخر
حجابه النور وفى الحديث الاخر لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين
وتلى ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب او
كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين فى الباب اعتقد ووجب
المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى يرده والله الموفق تعالى ۞

فصل واما ما ورد فى هذه

القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله الى جبريل وجبريل
الى محمد الا الشذوذ منهم ۞ فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى
الله تعالى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطى والى هذا ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا كلم ربه فى الاسراء ۞ وحكى عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود
وابن عباس رضى الله عنهم وانكره اخرون ۞ وذكر النقاش عن ابن عباس
رضى الله عنهما فى قصة الاسرى عنه عليه السلام فى قوله تعالى دنى
فتدلى قال فارقنى جبريل فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى
وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن ۞ وفى حديث انس رضى
الله عنه فى الاسراء نحو منه وقد احتجوا فى هذا بقوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى
باذنه ما يشاء ۞ فقالوا هى ثلثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
وبارسال الملئكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله
عليه وسلم ۞ الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
الا المشافهة مع المشاهدة ۞ وقد قيل الوحى هنا هو ما يلقيه فى
قلب النبى صلى الله عليه وسلم دون واسطة ۞ وقد ذكر ابو بكر البزار
عن على رضى الله عنه فى حديث الاسراء ما هو اوضح فى سماع النبى

صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله
اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال
في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين
في الفصل بعد هذا معما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله
لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لخصته من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا
ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه فان صح في ذلك خبر احتمل عليه وكلامه تعالى
لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة
على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة
بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف
الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من
خص من شاء بما شاء ورفع وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل واما ورد في الحديث

الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد
وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو محمد دنا فتدلى
من ربه وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد
اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو
الرب دنا من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن
قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه
ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس رضي الله
عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل

وانقطع

وانقطع عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس رضي الله عنه في
الصحيح ثم عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء فاوحى اليه خمسين
صلاة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد
من ربه فكان كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان
منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له من العباد
بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل
عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه
الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اعلم ان ما وقع في اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى
الله ليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق رضي
الله عنه ليس بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة تعظيم
منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه
وقدرته ومن الله تعالى مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه
ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال
واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل
ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا عن درك حقيقته اذ لا دنو
للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله
لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة
والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة
الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له
ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي
اتيته هرولة اي قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول

فصل في ذكر تفضيله في القيامة

بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا
حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا
الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن
انس عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ۞ وفي رواية
ابن زحر عن الربيع بن انس رضي الله عنه في لفظ هذا الحديث انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا
وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون ۞
وعن ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين
العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري ۞ وعن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي
لواء الحمد ولا فخر ۞ وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول
من تنشق الارض عنه ولا فخر ۞ وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وانا اول من ينشق عنه القبر
واول شافع واول مشفع ۞ وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد
يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر ۞ وعن انس بن مالك رضي الله
عنه انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا ۞ وعن انس
رضي الله عنه قال ۞ صلى الله عليه وسلم ۞ انا سيد الناس يوم القيمة

ويذرون

ويذرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة ۞ وعن
ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء
اجرا يوم القيمة وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم
يوم القيمة ۞ اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك
واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي
ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به ۞ قوله انا سيد الناس يوم
القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده
فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجاء الناس اليه في حوائجهم
فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه
كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ۞ والملك له تعالى
في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا
وكذلك لجأ الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان
سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول
الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك
وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه وقال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق
وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا ۞
وعن ابي ذر رضي الله عنه نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب
فيه ميزابان من الجنة ۞ وعن ثوبان رضي الله عنه مثله وقال احدهما
من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء
وقال انس رضي الله عنه ايلة وصنعاء ۞ وقال ابن عمر رضي الله
عنه كما بين الكوفة والحجر الاسود ۞ وروى حديث الحوض ايضا

انس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي
والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم
وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن الجبلة وابو
سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة
واسما بنت ابي بكر وابو بكر وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة

جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص على السنة المسلمين بحبيب الله
اخبرنا ابو القسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا
ابو الهيثم ۞ وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ۞ حدثنا
القاضي ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد ۞ حدثنا
ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم ۞ انه قال لو كنت متخذا خليلا غير
ربي لاتخذت ابي بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ۞
ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى دنا منهم
سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ
من خلقه خليلا ۞ وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله
تكليما ۞ وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم
اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم ۞ وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا ۞ وهو كذلك وموسى نجي الله
وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله ۞

وهو

٥٦

وهو كذلك وانا حبيب الله ولا فخر ۞ وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر ۞ وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ۞ وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر ۞ وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قول الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية انت
حبيب الرحمان ۞ قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف
في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس
في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال ۞ وقيل الخليل المختص واختار هذا القول
غير واحد ۞ وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابراهيم
خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن
بعده ۞ وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي
الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم
يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال الك
حاجة قال اما اليك فلا ۞ وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة
التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار ۞ وقال بعضهم اصل الخلة المحبة
ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى
في كتابه العزيز بقوله ۞ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة
اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة قال الله تعالى
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة
فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة ۞ اما بانقطاعهما
الى الله ووقف حوائجهما عليه ۞ والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسايط
والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما

خالل بواطنهما من اسرار الهية ومكنون غيوبه ومعرفة اولاستصفائه لهما
واستصفاء قلوبهما عن من سواه حتى لم يخالالهما حب لغيره ۞ ولهذا قال
بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام
ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابابكر خليلا لكن اخوة الاسلام ۞ واختلف
العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم
سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة
ومحمد بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله
عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه
السلام لفاطمة عليها السلام وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل
المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم
عليهما السلام ۞ واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح
الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق ۞ فاما الخالق جل
جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه
حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي
ان يفهم بهذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفا
القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عايشة رضي الله عنها كان
خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ۞ وبذا سمي الخليل خليلا ۞
فاذا ما نطقت كنت حديثي ۞ واذا ما سكت كنت الغليلا ۞

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم
بما دلت عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى

بقوله

بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية ۞ حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما
نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى
فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول
فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله
فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ۞ وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشارته الى تفضيل
مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم
الخليل يصل بالوسطة من قوله ۞ وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموت والارض
والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى ۞ وقيل
الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله ۞ والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ۞ ليغفر لك الله ما تقدم الاية
والخليل قال ولا تخزني ۞ والحبيب قيل له ۞ يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ
بالبشارة قبل السوال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها
النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له
ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سوال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات
والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ۞

فصل في تفضيله بالشفاعة

والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
اخبرنا الشيخ ابو العباس الجياني فيما كتب به الي بخطه ۞ حدثنا سراج بن
عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي ۞ حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا
حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا اسمعيل

بن ابان حدثنا ابو الاحوص عن ادم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما
يقول يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها تقول يا فلان اشفع
لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه
الله المقام المحمود ۞ وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ۞
فقال هي الشفاعة ۞ وروى كعب بن مالك رضي الله عنه ۞ عنه عليه
السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة
خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود ۞
وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ
بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده ۞ وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ۞ عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقوم
غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ۞ ونحوه عن كعب والحسن رضي الله
عنهما ۞ وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه ۞ وعن ابن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم
المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى ۞
الحديث ۞ وعن ابي موسى رضي الله عنه ۞ عنه عليه السلام خيرت
بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
فانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين ۞ وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه ۞ وعن ام حبيبة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت
ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض فسبق لهم من الله
ما سبق للامم قبلهم فسألت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم

فيفعل

ففعل ۞ وقال حذيفة رضي الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم
الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك
والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك
واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله ۞ وقال
ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل النار النار واهل الجنة الجنة
فيبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار ۞ فتقول زمرة النار لزمرة
الجنة ما نفعكم ايمانكم ويدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة
فيسألون ادم وغيره وبعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا
محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ۞ ونحوه
عن ابن مسعود رضي الله عنه ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين
عن النبي صلى الله عليه وسلم ۞ وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم ۞ يعني الذي يبعثه
الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي
يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج
الجهنميين ۞ وعن انس رضي الله عنه نحوه وقال فهذا المقام المحمود
الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم
في حديث بعض ۞ قال عليه السلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم
القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ۞
ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة رضي الله عنه
وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون
الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم

ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك
ملئكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا
يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض
وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا
يغضب بعده مثله نفسي نفسي ۝ قال في رواية انس رضي الله عنه ويذكر
خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم ۝ وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه
وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
فذكر مثله وذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم
بموسى فانه كليم الله ۝ وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية وكلمه وقربه
نجيا ۝ قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب
وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته
فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول انا لها
فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا ۝ وفي
رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا ۝ وفي رواية فاقوم بين يديه
فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله
علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ۝ قال
في رواية ابي هريرة رضي الله عنه ۝ فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه

واشفع

واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من
امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس رضي الله عنه هذا الفصل
وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك
واشفع تشفع وسل تعطه ۝ فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان
في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل
ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال
حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر ما تقدم وقال فيه من كان
في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة
فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول
يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي
وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ۝
ومن رواية قتادة رضي الله عنه ۝ عنه قال فلا ادري في الثالثة ام الرابعة
فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود ۝ وعن
ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة رضي الله عنهم ۝ قال
فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيؤذن له فتاتي الامانة والرحم فيقومان
جنبي الصراط ۝ وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة رضي الله عنه فيأتون
محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرجال ۝ ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم
سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوزا الحديث ۝ وفي رواية ابي هريرة
رضي الله عنه فاكون اول من يجيز ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنه ۝ عنه
عليه السلام يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس
عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان

اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم
من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع
حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول
يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ۞ ومن طريق زياد النميري
رحمه الله عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انا اول من ينفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة
ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر ۞ فاتي
فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار
تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ۞ ومن رواية انيس رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما
في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته
عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع
الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف
مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم
يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث ۞ عن ابي هريرة وحذيفة
رضي الله عنهما وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه
من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب
ودخل النار منهم حسب ما يقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال
لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم ۞ وفي الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ
فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا
صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين



الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين
من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه
في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان
اوخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة ۞ وفي رواية ابي صالح لكل نبي
دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة
وعن انس رضي الله عنهما مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة
المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه
وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطى بعضها ومنع
بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل
والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

فصل في تفضيله تعالى في الجنة بالوسيلة

والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة ۞ حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد
بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقرائي عليهما قالا حدثنا
ابو علي الغساني ۞ حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابو بكر التمار
حدثنا ابو داوود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة
وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله
عمرو بن العاصي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا
ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد
الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث آخر عن ابي هريرة رضي الله عنه الوسيلة اعلا درجة في الجنة
وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت يا جبريل

ماهذا قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينة فاستخرج
مسكا ۝ وعن عايشة وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما ومثله قال
ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج ۝ وفى
رواية عنه فاذا هو يجرى ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتى ۝ وذكر
حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس رضى الله وعن ابن عباس ايضا ۝ قال
الكوثر الخير الذى اعطاه الله اياه ۝ وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه والنهر
الذى فى الجنة من الخير الذى اعطاه وعن حذيفة رضى الله عنه فيما ذكر
عليه السلام عن ربه واعطانى الكوثر نهر من الجنة تسيل فى حوضى ۝ وعن
ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفى رواية
اخرى وفيه ما ينبغى له من الازواج والخدم ۝

فصل فان قلت اذا تقرر

من دليل القرآن وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل
الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما
حدثناه الاسدى حدثنا السمرقندى حدثنا الفارسى حدثنا الجلودى
حدثنا بن سفيان حدثنا مسلم ۝ حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر
حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابى العالية يقول حدثنى ابن عم نبيكم
صلى الله عليه وسلم يعنى بن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال ما ينبغى لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ۝ وفى غير
هذا الطريق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال يعنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ينبغى لعبد الحديث ۝ وفى حديث ابى هريرة رضى الله
عنه فى اليهودى الذى قال والذى اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم

بين

٦١

بين اظهرنا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين
الانبياء ۝ وفى رواية لا تخيرونى على موسى فذكر الحديث وفيه لا اقول
ان احدا افضل من يونس بن متى ۝ وعن ابى هريرة رضى الله عنه ومن
قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب ۝ وعن ابن مسعود رضى
الله عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس ابن متى ۝ وفى حديثه
الاخر فجاءه رجل فقال له يا خير البرية فقال ذاك ابرهيم ۝ فاعلم
ان للعلماء فى هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل
كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف
وان من فضل بلا علم فقد كذب ۝ وكذلك قوله لا اقول ان احدا
افضل منه لا يقتضى تفضيله هو وانما هو فى الظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثانى انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفى التكبر
والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل
بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما فى جهة
يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع فى نفس من لا يعلم
منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال الله تعالى
عنه اذ ابق الى الفلك المشحون ۝ اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر
عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده خطيئته بذلك ۝ الوجه الرابع
منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد
اذ هى شىء واحد لا تتفاضل وانما التفاضل فى زيادة الاحوال
والخصوص والكرامات والرتب والالطاف ۝ واما النبوة فى نفسها
فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زايدة عليها ولذلك منهم
رسل ومنهم اولو العزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ۝
ومنهم اوتى الحكم صبيا ۝ واوتى بعضهم الزبر وبعضهم البينات

ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او تكون في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطاف وتحف ولاية واختصاص وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعًا الى القايل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلا وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك العرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل في اسمائه عليه الصلاة

والسلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس

على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون لشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع اياته فن اخر هو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة ابن الجلاج الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال اول من سمى محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما

واما قوله عليه السلام وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ففسر فى الحديث
ويكون محو الكفر اما بمكة وبلاد العرب وما زوى له من الارض ووعد انه
يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله
تعالى ليظهره على الدين كله ۞ وقوله انا الحاشر الذى يحشر الناس
على قدمى اى على زمانى وعهدى اى ليس بعدى نبى كما قال الله تعالى
وخاتم النبيين ۞ وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وقيل معنى على
قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ۞ ومعنى قوله لى خمسة اسماء
قيل انها موجودة فى الكتب المتقدمة وعند اولى العلم من الامم السالفة
والله اعلم ۞ وقد روى عنه عليه السلام لى عشرة اسماء وذكر منها
طه ۞ ويس ۞ حكاه مكى وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه يا طاهر
يا هادى ۞ وفى يس يا سيد ۞ حكاه السلمى عن الواسطى ۞ وجعفر بن محمد
وذكر غيره لى عشرة اسماء فذكر الخمسة التى فى الحديث الاول قال
وانا رسول الرحمة ۞ ورسول الراحة ۞ ورسول الملاحم ۞ وانا المقفى
قفيت النبيين ۞ وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه
وارى صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربى وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضا فى كتب الانبياء عليهم السلام قال داود ۞
اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه
وروى النقاش عنه عليه السلام لى فى القرآن سبعة اسماء ، محمد
واحمد ، ويس ، وطه ، والمدثر ، والمزمل ، وعبد الله ، وفى
حديث جبير بن مطعم هى ست ، محمد ، واحمد ، وخاتم ، وحاشر
وعاقب ، وماحى ، وفى حديث ابو موسى الاشعرى انه كان عليه
السلام يسمى لنا نفسه اسماء فيقول ، انا محمد ، واحمد ، والمقفى

والحاشر

والحاشر ، ونبى التوبة ، ونبى الملحمة ، ويروى المرحمة ، والرحمة ، وكل
صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفى معنى العاقب ۞ واما نبى الرحمة
والتوبة ۞ والمرحمة ۞ والراحة ۞ فقد قال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم ۞ وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال فى صفة امته انها
امة مرحومة وقال الله تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
اى يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين
ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها
بالرحمة وامرها عليه السلام بالرحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء
واما رواية نبى الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه
وسلم وهى صحيحة ۞ وروى حذيفة رضى الله عنه مثل حديث ابى موسى
وفيه ونبى الرحمة ، ونبى التوبة ، ونبى الملاحم ، وروى الحربى فى حديثه
عليه السلام انه قال اتانى ملك فقال لى انت قثم اى مجتمع قال والقثوم
الجامع للخير وهذا اسم هو فى اهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم
وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته فى القرآن عدة كثيرة سوى
ما ذكرناه ، كالنور ، والسراج المنير ، والمنذر ، والنذير ، والمبشر
والبشير ، والشاهد ، والشهيد ، والحق المبين ، وخاتم النبيين
والرؤف الرحيم ، والامين ، وقدم الصدق ، ورحمة للعالمين ، ونعمة
الله ، والعروة الوثقى ، والصراط المستقيم ، والنجم الثاقب ،
والكريم ، والنبى الامى ، وداعى الله ، فى اوصاف كثيرة وسمات
جليلة وجرى منها فى كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله
واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى ، والمجتبى ، وابى

القاسم ، والحبيب ، ورسول رب العالمين ، والمشفع المشفع ، والمتقي
والمصلح ، والطاهر ، والمهيمن ، والصادق ، والمصدوق ، والهادي
وسيد ولد ادم ، وسيد المرسلين ، وامام المتقين ، وقايد الغر المحجلين
وحبيب الله ، وخليل الرحمن ، وصاحب الحوض المورود ، والشفاعة
والمقام المحمود ، وصاحب الوسيلة ، والفضيلة ، والدرجة الرفيعة ،
وصاحب التاج ، والمعرج ، واللواء ، والقضيب ، وراكب البراق ، ،
والناقة ، والنجيب ، وصاحب الحجة ، والسلطان ، والخاتم ، والعلامة
والبرهان ، وصاحب الهراوة ، والنعلين ، ومن اسمائه في الكتب ،
المتوكل ، والمختار ، ومقيم السنة ، والمقدس ، وروح الحق ، وهو
معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب رحمه الله ، البارقليط الذي يفرق
بين الحق والباطل ، ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذماذ ومعناه
طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال
ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ،
ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه في التورية احيد ، روى ذلك
عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في
الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك ، وقد يحمل
على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الان عند الخلفا
واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصى واراها والله اعلم ،
العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن
واما التاج فالمراد به العمامة ولم يكن حينئذ الا للعرب والعمايم تيجان
العرب واوصافه والقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها مقنع ان شاء
الله تعالى

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه

به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو

الفضل رضي الله عنه ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه
في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية
الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض
في الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله ، فاعلم ان
الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسمية
اسحق واسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور و
عيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب
بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع
ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه
العزيز على السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر
واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها للتاليف
فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم
الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الان ويفتح غلقه
فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه
وسلم محمدا صلى الله عليه وسلم واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه
في زبور داوود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو
هذا حسان بقوله

وشق له من اسمه ليجله ، فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه
بذلك فقال الله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه الحق
المبين ، ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اي البين
امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم

ومعادهم وسمى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فى كتابه فقال الله تعالى
حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل انا النذير المبين وقال
قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد
وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو
بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله تعالى
ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى
النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض بالانوار
ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمى
بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به
ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده
يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا
وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه
تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل
العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه تعالى الاكرم وسماه كريما بقوله
انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه انا اكرم ولد
ادم ومعانى الاسم صحيحة فى حقه عليه السلام ومن اسمائه تعالى
العظيم ومعناه الجليل الشان الذى كل شىء دونه وقال فى النبى
صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التورية
عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم
ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى
العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله عليه وسلم فى كتاب
داود بجبار فقال ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشريعتك

مقرونة بهيبة يمينك ومعناه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم اما
لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره ونفى تعالى عنه فى القرآن جبرية التكبر التى لا يليق به فقال
وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه
الشىء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن
فسئل به خبيرا قال القاضى بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبى
صلى الله عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبى صلى الله عليه وسلم
وقال غيره بل السائل النبى صلى الله عليه وسلم والمسؤل الله فالنبى
خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله
من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به
ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق
والرحمة والمنغلق امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق
ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
اى تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر
وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء
الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة رضى
الله عنه وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول
النبى صلى الله عليه وسلم فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى
وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله والناصر
للحق او المبتدى بهداية الامة او المبدأ المقدم فى الانبياء والخاتم لهم كما
قال عليه السلام كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث
ومن اسمائه تعالى فى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل

المثنى على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه عبدا
شكورا ۞ وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال
افلا اكون عبدا شكورا اى معترفا بنعمة ربى عارفا بقدر ذلك مثنيا
عليه مجهدا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف
نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه ۞ فقال الله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم
الكتاب والحكمة ما لم تكونوا تعلمون ۞ ومن اسمائه تعالى الاول والاخر
ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقى بعد فنائها وتحقيقه
انه ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء
فى الخلق واخرهم فى البعث ۞ وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنه قوله نحن
الاخرون السابقون ۞ وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول
من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين
واخر الرسل صلى الله عليه وعليهم اجمعين ۞ ومن اسمائه
تعالى القوى وذو القوة المتين ۞ ومعناه القادر وقد وصفه الله
بذلك فقال الله تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد ۞
وقيل جبريل ۞ ومن اسمائه تعالى الصادق فى الحديث المأثور وورد
فى الحديث اسمه عليه السلام بالصادق المصدوق ۞ ومن اسمائه
تعالى الولى والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما
وليكم الله ورسوله ۞ وقال عليه السلام انا ولى كل مومن
وقال الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين ۞ وقال عليه السلام

من كنت مولاه فعلى مولاه ۞ ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح
وقد وصف الله بهذا نبيه فى القران والتورية وامره بالعفو فقال الله تعالى
خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله قوله
خذ العفو قال ان تعفوا عمن ظلمك وقال فى التورية والانجيل فى الانجيل
فى الحديث المشهور فى صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ۞ ومن
اسمائه تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعاء قال الله تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط
مستقيم ۞ واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل فى تفسير طه
انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ۞ وقال الله تعالى
وانك لتهدى الى صراط مستقيم ۞ وقال فيه وداعيا الى الله باذنه
فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى انك لا تهدى من احببت
ولكن الله يهدى من يشاء ۞ وبمعنى الدلالة ينطلق الى غيره تعالى ۞ ومن
اسمائه تعالى المؤمن المهيمن ۞ وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن فى حقه
تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين
ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده فى الدنيا من ظلمه والمؤمنين
فى الاخرة من عذابه ۞ وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة
هاء وقد قيل ان قولهم فى الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه
معنى المؤمن ۞ وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله عليه
وسلم امين ومهيمن ومؤمن ۞ وقد سماه الله امينا فقال الله تعالى
مطاع ثم امين ۞ وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة
وبعدها وسماه العباس فى شعره مهيمنا فى قوله ۞
۞ ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق ۞
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبى والامام ابو القسم القشيرى وقال

الله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اى يصدق وقال انا امنة لاصحابى
فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص
المطهر من سمات الحدث وسمى بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادى المقدس وروح القدس ووقع فى كتب الانبياء فى اسمائه عليه
وعليهم السلام المقدس اى المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والذى يتطهر به من الذنوب
ويتزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات
الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف
الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذى
لا نظير له او المعز لغيره وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله
اى الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة
والنذارة فقال الله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقال الله تعالى ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى
مبشرا ونذيرا وبشيرا اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته
ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر
بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل قال القاضى ابو الفضل

رضى الله عنه وها انا اذكر نكتة اذيلها هذا الفصل واختم بها هذا القسم
وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد
ان الله جل اسمه فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى
صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه
الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات

القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته
لا يشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض وهو تعالى
منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى فى هذا قوله ليس كمثله
شئ ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات
ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة
الواسطى رضى الله عنه بيانا وهو مقصودنا فقال ليس كذاته ذات
ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة
اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما
استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل
الحق والسنة والجماعة رضى الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم
القشيرى رضى الله عنه قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية
تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات
وهى بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير
جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة
ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر
من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم وقال الامام ابو المعالى الجوينى من اطمأن الى موجود
انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفى المحض فهو معطل
وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما
احسن قول ذى النون المصرى رضى الله عنه حقيقة التوحيد ان تعلم
قدرة الله فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شئ
صنعه ولا علة لصنعه وما تصور فى وهمك فالله بخلافه وهذا كلام
عجيب نفيس محقق والفصل الاخر هو تفسير لقوله ليس كمثله شئ

والثاني تفسير لقوله لايسأل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير
لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك
على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة

الباب الرابع

فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه من الخصايص والكرامات
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه حسب المتأمل ان يحقق ان كتابنا
هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين
عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز
والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه
لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم
له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت
في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته ليدل على عظيم قدره عند
ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد
واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تأمل المتأمل المنصف
ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه
وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر
في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به
فروينا عن الترمذي وبن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله
بن سلام رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه
ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
عن ابي اليعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي

حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي
عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن
اوفى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه الحديث وعن ابي رمثة
التميمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته
قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك
هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال
جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبرنا انه راى النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا
هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه
وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة
فقالت انا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر
لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله
لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا
ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب
فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال
نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل
ضربه لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته فان لم يتل

قرأنا كما قال ابن دوحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره
ينبيك بالخبر وقدان نأخذ فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعد
فى معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة

فصل اعلم ان الله جل اسمه

قادر على خلق المعرفة فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته
وجميع تكليفاته ابتداء دون وسط لو شاء كما حكى عن سنته فى بعض
الانبياء وذكره بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا وجايز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم
كلامه ويكون ذلك الوسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبيا
او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا
جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم
وجب تصديقهم فى جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدى من النبى
قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدى فاتبعوه واطيعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف وتطويل فيه خارج
عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى فى مصنفات ائمتنا رحمهم
الله والنبوة فى لغة من همزه مأخوذ من النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز
على هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبيه فيكون نبى منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما
بعثه الله به ومنبأ بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند
من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة
شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان فى حقه
مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى
مفعل فى اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله

اليه

اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم
بعضهم فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء
هل النبى والرسول بمعنى وحد او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء
وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبى فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبى الا
رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا
فى النبوة التى هى الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة
بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا فى زيادة الرسالة للرسول
وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين
الاسمين ولو كانا شيأ وحدا لما حسن تكررهما فى الكلام البليغ قالوا والمعنى
وما ارسلنا من رسول الى امة او نبى ليس بمرسل الى احد وقد ذهب
بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبى غير
رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذى عليه الجماء الغفير
ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا واول الرسل ادم واخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه عنه عليه
السلام ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبى وذكر ان
الرسول منهم ثلث مائة وثلاثة عشر اولهم ادم واخرهم محمد صلى الله
عليه وسلم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين
ذاتا للنبى ولا وصف ذات خلافا للكرامية فى تطويل لهم وتهويل ليس
عليه تعويل واما الوحى فاصله الاسراع فلما كان النبى صلى الله
عليه وسلم يتلقا ما يأتيه من ربه بتعجيل سمى وحيا وسميت انواع
الالهامات وحيا تشبيها بالوحى الى النبى وسمى الخط وحيا لسرعة
حركة يد كاتبه ووحى الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه

قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوه بكرة وعشيا اى امرهم وقيل
كتب ومنه قولهم الوحا الوحاء اى السرعة وقيل اصل الوحى السر
والاخفاء ومنه سمى الالهام ومنه قوله وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم اى يوسوسون فى صدورهم ومنه قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها وقد قيل ذلك فى قوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة

فصل ان معنا تسميتنا

ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهى
على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه
فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمنى الموت وتعجيزهم عن
الاتيان بمثل القرآن على ما راى بعضهم ونحوه وضرب وهو خارج
عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا
حية واخراج الناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع
وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فكون ذلك على
يد النبى صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان
ياتى بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التى ظهرت على يد نبينا صلى
الله عليه وسلم ودلايل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا
وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهى
فى كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد
معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبى قد تحدى بسورة منه
فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر
فكل آية او آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه

وسلم

الجزء الثامن
٨



وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن
فلا مرية ولا خلاف بمجىء النبى به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته
وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد فى الدنيا وانما جاء
اعتراض الجاحدين فى الحجة به فهو فى نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم
ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض
ائمتنا ويجرى هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلام
آيات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها
فلا مرية فى جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت
على يديه عجايب وانما خلاف المعاند فى كونها من قبل الله وقد قدمنا
كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل
هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم
وشجاعة عنترة وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد
منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه
لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثانى ما لم يبلغ مبلغ
الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء
من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله
اتفقا فى المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضى
ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه
عليه السلام بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه
واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله
صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عر

الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نزعم بهذا الفن ونبذ بالعرا سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير
الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير
عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان فى موطن
اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق وفى غزوة بواط وعمرة الحديبية
وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر
عن احد من الصحابة مخالفة للراوى فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم
رواه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذهم المنزهون عن السكوت
على باطل والمداهنة فى كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان
ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم
على بعض اشياء رووها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم
بعضا ووهمه فى ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله ملحق بالقطعى من معجزاته
لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التى لا اصل لها وبنيت على باطل
لابد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها
وخمول ذكرها كما يشاهد فى كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية
واعلام نبينا هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا
ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن
عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون
وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به
من ائمتنا القاضى والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندى اوجب
قول القايل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته
للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى

بطريق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب فى صحة هذه القصص المشهورة
على الوجه الذى ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل
عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة فانها مدينة
عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن
وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان
مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن فى الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية فى اول
ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعى يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار
فى المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص فى القتل بالمحدد وغيره وايجاب
النية فى الوضوء واشتراط الولى فى النكاح وان ابا حنيفة رحمه الله يخالفهما
فى هذه المسايل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا
من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام
فيها تبيانا ان شاء الله تعالى

فصل فى اعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز
كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها فى اربعة وجوه اولها حسن
تأليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة
العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك
طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون
به الى كل سبب فيخطبون بديها فى المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به
بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون
ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل

من سمط الأول فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن
ويهيجون الدمن ويجرون الجبان ويبسطون يد الجعط البنان ويصيرون
الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل
والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم
الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة
والطبع السهل والتصرف فى القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق
الحاشية وكلا البابين فلهما فى البلاغة الحجة البالغة والقوة الدافعة
والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم
والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا
من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطير
والمهين وتفننوا فى الغث والثمين وتقاولوا فى القل والكثر وتساجلوا
فى النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر
ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت فى الحسن مطالعه
ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه
حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا فى هذا
الباب مجالا واشهر فى الخطابة ارتجالا وارتحالا واكثر فى السجع والشعر
سجالا واوسع فى الغريب واللغة مقالا بلغتهم التى بها يتحاورون
ومنازعهم التى عنها يتناضلون صارخا بهم فى كل حين ومقرعا لهم
بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ اجمعين ام يقولون افتريه قل
فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله

ولن تفعلوا

ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
الاية و قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل
ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح
كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد
وللاول على الثانى فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه
وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم
ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم
واموالهم وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته محجوبون عن مماثلته
مخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم
ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف و فى اكنة مما تدعونا
اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا ومن
تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف الله عوراته لجميعهم وسلبهم
الله جميع ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه
ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا
مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى
صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية قال والله
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع
بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرأ فلما
استيئسوا منه خلصوا نجيا قال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذ

الكلام ۞ وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نايما فى المسجد
فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلم انه من بطارقة
الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين
يقرء اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من
احوال الدنيا والاخرة وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش
الله ويتقه الاية ۞ وحكى الاصمعى انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك
الله ما افصحك فقالت اويعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع فى اية واحدة بين امرين
ونهيين وخبرين وبشارتين ۞ فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير
مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل
النبى صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام
متحديا معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه
فى فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه
البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها
عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله
تعالى ۞ ولكم فى القصاص حيوة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
واخذوا من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن فاذا
الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعى
ماءك ويا سماء اقلعى وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا الاية واشباهها من الاى بل اكثر القرآن حققت ما بينته
من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف
حروفها وتلاءم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا
جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض استفيد منها وكثرت

المقالات فى المستنبطات عنها ثم فى سرد القصص الطوال واخبار القرون
السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان
اية لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتيام سرده وتناصف
وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها ثم اذا ترددت قصصه
اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسى
فى البيان صاحبتها وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها ولا نفور
النفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها ۞

فصل الوجه الثانى من اعجازه

صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت مقاطع وانتهت
فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد
مماثلة شىء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم
يهتدوا الى مثله فى جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر
ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرء عليه
القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم
بالاشعار منى والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا وفى خبره الاخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله
ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قالوا ما هو
بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر
وقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما
هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا
فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان

اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابيه والمرء واخيه والمرء وزوجه
والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله
تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا وقد علمته وقرأته وقلته
والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر
رضي الله عنه ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت اشعر من اخي
انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق
الى مكة وجاء الى ابي ذر رضي الله عنه بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت
قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما
يلتئم على لسان احد بعدي انه شاعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار
في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة
بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق
لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها
مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين
وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب
واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف
خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف
ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة
جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه واسلوبه
لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار

الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو
الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله
عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال
به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة
عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله
قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم
بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال
فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون
ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم
والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم
لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدرة في المعرفة بجميع الانام
وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره
واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة
من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد
وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ناطقوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل الوجه الثالث من الاعجاز

ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما وقع
ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين وقوله من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله
وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت
الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات

عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف
المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها الى اقصى المغارب
كما قال عليه السلام زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل
محكمه من الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم
وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره
ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد
لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قوله قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم قوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف
اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم
بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله من الذين
هادوا سماعون للكذب الاية وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده
المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بان الله كفاه اياهم
وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا
وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره
وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة

فصل الوجه الرابع ما انباء به

من اخبار

من اخبار القرون السالفة والامم البايدة والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم
منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم
ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه
فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد
علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرء ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا
مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا
ما يسئلونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه
ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم خبر موسى والخضر ويوسف واخوته
واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء
والقصص وبدء الخلق وما في التورية والانجيل والزبور وصحف ابراهيم
وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل
اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد
ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له
وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم
بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له
عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم و
مستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات
كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى
وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام
ومن طيبات كانت احلت لهم وحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى
ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي
نزل فيها القرآن واجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده

وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابى احطب وغيرهم ومن باهت
فى ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة
دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن
غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقى على فضيحته من كتابه يده
ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا
سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الايتين

فصل هذه الوجوه الاربعة

من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير
هذه الوجوه اى وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج فى هذه الاية اعظم
حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبى صلى الله
عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه
يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق
رسوله وصحة ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه
احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته
وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلى من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم
جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم
يقدم عليه ولا يجيب اليه هذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه
منهم اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران

وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك
فيه الاية فامتنعوا ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم انه نبى وانه ما لاعن قوما نبى قط فبقى كبيرهم
ولا صغيرهم قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله
ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل فى باب الاخبار
عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها

فصل ومنها الروعة التى تلحق

قلوب سامعيه سماعهم عند سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته
لقوة حاله وانافة خطره وهى على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال الله تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم
له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع
تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال
الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية ويدل على ان هذا
شئ خص به انه يعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى
عن نصرانى انه مر بقارئ فوقف يبكى وقيل له مم بكيت قال
للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام
وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر
فحكى فى الصحيح عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت النبى
صلى الله عليه وسلم يقرء فى المغرب فى الطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير
شئ ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبى ان يطير وفى رواية
وذلك اول ما وقر الايمان فى قلبى وعن عتبة بن ربيعة انه كلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم
حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده
على فى النبى صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفى رواية فجعل
النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره
معتمدا عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبى صلى الله عليه
وسلم ۞ وقال عتبة لايدرى مايراجعه ورجع الى اهله ولم
يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمنى
بكلام والله ماسمعت أذناى بمثله قط فمادريت مااقول له ۞ وقد
حكى عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها
عن ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبى يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك
فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لايعارض وما هو من كلام
البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ
الاندلس فى زمنه فحكى انه رام شيئا من هذا فنظر فى سورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتنى
خشية ورقة حملتنى على التوبة والانابة ۞

فصل ومن وجوه اعجازه

المعدودة وكونه آية باقية لاتعدم مابقيت الدنيا مع تكفل الله
بحفظه فقال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر
معجزات الانبياء عليهم السلام انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق
الاخبرها والقرآن العزيز الباهر آياته الظاهرة معجزاته على ما كان
عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله
الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة

باهل

باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة
البراعة والملحد فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد فما منهم من اتى بشىء
يؤثر فى معارضته ولا الف كلمتين فى مناقضته ولا قدر فيه على مطعن
صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح بل المأثور
عن كل من رام ذلك القاؤه فى العجز بيديه والنكوص على عقبيه ۞

فصل وقد عد جماعة

من الائمة ومقلدى الامة فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه
لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده
يوجب له محبة لايزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن
والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به
فى الخلوات ويؤنس بتلاوته فى الازمات وسواه من الكتب لا يوجد
فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم القرآن بانه يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه
هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا
تلتبس به الالسنة هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا
سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ۞ ومنها جمعه لعلوم ومعارف
لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة
بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل
عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على
طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة
مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى اوليس الذى خلق السموات

والارض بقادر على ان يخلق مثلهم و قل يحييها الذى انشاها اول مرة
ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء
الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم
قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من شىء ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شىء ۞ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل
وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القرآن امرا وزاجرا وسنة
خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم
وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا ينقضى عجائبه هو الحق
ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به
فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط
مستقيم ۞ ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين
والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستعتب لا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن
ابن مسعود رضى الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان
فيه نبأ الاولين والاخرين ۞ وفى الحديث قال الله لمحمد صلى الله
عليه وسلم انى منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب ۞
وعن كعب رحمه الله بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال
الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون
وقال الله تعالى هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة
الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما فى الكتب قبله التى الفاظها على الضعف
منه مرات ۞ ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه

احتج

احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة
امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له يفهم موضع الحجة والتكليف
معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله فى حيز المنظوم الذى
لم يعهد ولم يكن فى حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى
للقلوب واسمح فى الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء
اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها
الواحد منهم فكيف الجم على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه
للغلمان فى اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف
انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج
من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر
ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد
وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله
والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل
رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما
ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر
عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم
وتوهينهم ووعيدهم بخزى الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم
واهلاك الله تعالى لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبى
صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته عليه السلام بكل ما تقدم
ذكره ثم اخذ فى ذكر داود وقصص الانبياء عليهم السلام كل هذا
فى اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجمل الكثيرة التى انطوت عليها

الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر فى اعجاز القران
الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة رحمهم الله لم نذكرها اكثرها داخل فى باب
بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا فى اعجازه الا فى باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير مما قد ذكرناه عنهم يعد فى خواصه وفضائله
لا فى اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التى ذكرنا فليعتمد
عليها وما بعدها من خواص القران وعجايبه التى لا تنقضى وبالله التوفيق
وهو المستعان ۞

فصل فى انشقاق القمر

وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان
يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ۞ اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ
الماضى واعراض الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على
وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه قال حدثنا القاضى
سراج بن عبد الله قال حدثنا الاصيلى قال حدثنا المروزى قال
حدثنا الفربرى قال حدثنا البخارى قال حدثنا مسدد قال حدثنا
يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابى معمر عن ابن
مسعود رضى الله عنهم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية مجاهد رحمه الله ونحن مع
النبى صلى الله عليه وسلم وفى بعض طرق الاعمش رحمه الله بمنى ورواه
ايضا عن ابن مسعود حتى رأيت الجبل بين فرجتى القمر ورواه عنه مسروق
انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة فقال رجل
من القوم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض
كلها فسئلوا من يأتيكم من بلد اخر هل رأوا هذا فأتوا فسئلوا فاخبروهم
انهم رأوا مثل ذلك ۞ وحكى السمرقندى رحمه الله عن الضحاك رضى الله

عنه

عنه نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى
تنظروا ارأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا
يعنى الكفار هذا سحر مستمر رواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهولاء
الاربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود رضى
الله عنه منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ۞ فقال من رواية ابى حذيفة الارحبى
انشق القمر ونحن مع النبى صلى الله عليه وسلم ۞ وعن انس رضى
الله عنه سأل اهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم ان يريهم
انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حرا بينهما رواه عن انس قتادة
وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين فنزلت
اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن
ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبد الله بن عبد الله بن عتبة
ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمى
ومسلم بن ابى عمران الازدى واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية
مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على
اهل الارض اذ هو شىء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم
رصدوه تلك الليلة فلم يروا انشقاقه ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم
على الارض لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر فى حد
واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد
يكون بضد ما هو من مقابلتهم من اقطار الارض او يحول بين قوم و
وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات فى بعض البلاد دون
بعض وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية وفى بعضها لا يعرفها الا
المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم ۞ واية القمر كانت ليلا

والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون واجاف الابواب وقطع التصرف
ولا يكاد يعرف من امور السماء شيا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك
ما يكون من الكسوف القمرى كثيرا فى البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر
وكثيرا ما يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار نجوم طوالع
عظام تظهر فى الاحيان بالليل فى السماء ولا علم احد منها واخرج الطحاوى
فى مشكل الحديث عن اسما بنت عميس من طريقين ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان يوحى اليه وراسه فى حجر على رضى الله عنه فلم يصل العصر حتى
غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا على
فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايت غربت ثم رايت
طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك فى صهباء فى خيبر
قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتها ثقات وحكى الطحاوى
ان احمد بن صالح رحمهما الله كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف
عن حفظ حديث اسما رضى الله عنها لانه من علامات النبوة وروى
يونس بن بكير رحمه الله فى زيادة المغازى فى روايته عن ابن اسحق لما
اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة
التى فى العير قالوا متى تجى قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجى فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل فى نبع الماء من بين

اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث فى هذا
فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه جماعة من الصحابة
منهم انس وجابر وابن مسعود رضى الله عنهم حدثنا ابو اسحق

ابرهيم

الجزء التاسع



ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراتى عليه قال حدثنا القاضى
عيسى بن سهل قال حدثنا ابو القاسم خاتم بن محمد قال حدثنا ابو عمر
بن الفخار قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا
يحيى قال حدثنا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس بن
مالك رضى الله عنهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة
العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الاناء يده وامر الناس
ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس
حتى توضؤا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة رضى الله عنهما
وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه ولا يكاد يغمر قال كم كنتم
قال زهاء ثلاثمائة وفى رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق
ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفى رواية حميد قلت
كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو
من سبعين رجلا واما ابن مسعود رضى الله عنه ففى الصحيح
عنه من رواية علقمة رحمه الله بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا من معه فضل من ماء فاتى بماء فى اناء ثم وضع كفه فيه
فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى الصحيح عن سالم بن ابى الجعد عن جابر رضى الله عنه عطش
الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما فى
ركوتك فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء
يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم

قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة ۞ وروى مثله عن انس
عن جابر رضي الله عنهما وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد
بن عبادة بن الصامت رضي الله عنهما عنه في حديث مسلم الطويل
في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب
فاتي به النبي عليه السلام فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال
ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى
الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه
وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت
الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى
رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الجفنة وهي ملأى ۞ وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها
فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس
يجيئون ويتوضؤن ثم يقومون ۞ قال الترمذي وفي الباب عن
عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة
لا يتطرق التهمة الى المحدث لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك وانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء
قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد
من الناس عليهم ما حدثوا عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم له ۞

فصل ومما يشبه هذا

من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك
في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين

وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع
في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده
فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق
من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك
حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا ۞ وفي حديث البراء وسلمة بن
الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربعة عشر مائة وبئرها لا تروي
خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة
فاما دعا ۞ واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم ۞
وفي غير هذين الروايتين في هذه القصة من طريق شهاب في الحديبية فاخرج
سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيها ماء فروي الناس فضربوا
بعطن ۞ وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم
التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل
اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا
وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير
ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا
لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء ۞ وذكر حديثا طويلا فيه معجزات
وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاث مائة
وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ على ميضاتك فانه سيكون
لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجد رجلين من

اصحابه واعلمها انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان
الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء
من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين
ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملأوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملأوه
قال عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة
من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا
ولكن الله سقانا الحديث بطوله ۞ وعن سلمة بن الاكوع قال النبي صلى
الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها
في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة ۞ وفي حديث عمر
رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل
لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابي بكر رضي الله عنه الى النبي صلى
الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء
فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر ۞ وعن عمرو بن
شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه
بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب
كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه ۞

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم

تكثير الطعام ببركته ودعائه ۞ حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم بن الحجاج ۞ حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا
معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ۞
يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه

حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم
منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله
عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده
اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول ۞ وحديث
جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع
شعير وعناق وقال جابر رضي الله عنه فاقسم بالله لاكلوا حتى
تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر
سعيد بن ميناء وايمن وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى
تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا
حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل
من طعامي مائة وثمانون رجلا ۞ وعن ثابت رضي الله عنه مثل عن رجل
من الانصار وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بالكف فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل
في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه
السلام لذلك وبقي بعد شبعوا مثل ما كان في الاناء ۞ وعن سمرة
بن جندب اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة
حتى الليل تقوم قوم ويقعد آخرون ۞ ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن
ابي بكر رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها
ثم قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد

بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ۞ ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري
عن ابيه ومثله سلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا
مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا
ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم
الذي اتى بالصاع من التمر فجمع على نطع قال سلمة فحزرته كربضة
العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي
منه ۞ وعن ابي هريرة رضي الله عنه امرني النبي صلى الله عليه وسلم
ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا
صفحة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها
اثر الاصابع ۞ وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون
الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا
وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب ۞
وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى
بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت ۞
والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه
وغمس ثلث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا
مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة
او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال
لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت ۞ وفي حديث جعفر
بن محمد عن ابيه علي ان فاطمة رضي الله عنها طبخت قدرا لغذائهما ووجهت
عليا في طلب النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها ففرقت

منها الجميع نساءه صحفة صحفة ثم له عليه الصلوة والسلام ولعلي ثم لها ثم
رفعت القدر وانها لتغيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله ۞ وامر صلى
الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربع مائة راكب
من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع اذهب فذهب فزودهم منه
وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله ۞ من رواية دكين الاحمسي
من رواية جرير النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة
راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر رضي الله عنه في دين ابيه بعد
موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في
ثمرها سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره
بجذها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعى فاوفى منه جابر غرماء
ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة ۞ وفي رواية مثل ما اعطاهم
قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك ۞ وقال ابو هريرة رضي الله
عنه اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
من شيء فقلت نعم شيء من التمر في المزود وقال فاتني به فادخل يده
فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا
حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم شبعوا قال
خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما
جئت به فاكلت منه واطعمت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان رضي الله تعالى عنهم فانتهب مني
فذهب ۞ وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق
في سبيل الله ۞ وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر
كان بضع عشرة تمرة ۞ ومنه حديث ايضا ابي هريرة رضي الله عنه
حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا

في قدح قد اهدى اليه وامره ان يدعوا اهل الصفة قال فقلت ما هذا
اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر
امر النبي صلى الله عليه وسلم لهان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب
حتى يروى ثم يأخذه الاخر حتى روى جميعهم قال فاخذ النبي
صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب ومازال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك
بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن العزى رضي الله عنه انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا يبد عياله عظما عظما وان
النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو
خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وفضلوا ذكر خبره
الدولابي ۞ ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي فاطمة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا
بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال
فاتيته بذلك فطعن في رأسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة يأكلون
منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه
وقال كلن واطعمن من غشيكن ۞ وفي حديث انس رضي الله عنه
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته
في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع
لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا
دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاث مائة حتى ملؤا الصفة والحجرة
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله

ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت
كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح
وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشرة من الصحابة رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة و
مجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكره

فصل في كلام الشجر وشهادتها

له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ صالح فيما
اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن القسم البغوي حدثنا احمد
بن عمران الاخنسي حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل
لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة
السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت
تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال
ثم رجعت الى مكانها ۞ وعن بريدة رضي الله عنه سأل اعرابي النبي
صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك
قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت
فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له

وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل رضي الله عنه ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما فاخذ
بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير
المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان
بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا ۞ وفي رواية اخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما
على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه
هكذا يمينا وشمالا ۞ وروى اسامة بن زيد رضي الله عنهما نحوه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا لحاجة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال
هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل
لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تأتين لمخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي
بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن
فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابه رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر وامر وديتين فانضمتا ۞ وفي
رواية اشائتين ۞ وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين ۞ وعن ابن

مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ۞ وعن يعلى بن مرة وهو
ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ فذكر
ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي ۞ وفي حديث عبد الله
بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث
الاول ۞ نحوه قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر
وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي ابن
ابي طالب وابن عباس وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين قد اتفقوا على
هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت
في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك رحمه الله انه صلى الله
الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته
سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا
وهي هناك معروفة معظمة ۞ ومن ذلك حديث انس رضي الله عنه
ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا اتحب ان اريك
آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء
الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال
مرها فلترجع فعادت الى مكانها ۞ وعن علي رضي الله عنه نحوه ولم يذكر
فيها جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا
شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية
لهم لا له ۞ وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة
مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال

ارجعي فرجعت ۞ وعن الحسن رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم شكى الى
ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه
فاوحى اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل
فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال
له ارجع كما جئت فرجع فقال علمت ان لا مخافة علي ونحوه
عن عمر رضي الله عنه وقال فيه ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر
نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال
لاعرابي ارأيت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه
وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر
منهم ابي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وانس بن مالك ، وعبد الله
بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسهل بن سعد ، وابي سعيد الخدري
وبريدة ، وام سلمة ، والمطلب بن ابي وداعة ، رضي الله عنهم ، كلهم
يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال
جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس رضي الله عنه حتى
ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل رضي الله عنه وكثر بكاء الناس
لما راوا به ۞ وفي رواية المطلب وابي رضي الله عنهما حتى تصدع وانشق
حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي
نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت
المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد عن اسحق عن انس رضي الله
عنهم ۞ وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره وجعلت
في السقف ۞ وفي حديث ابي رضي الله عنه فكان اذا صلى النبي صلى
الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته
الارض وعاد رفاتا ۞ وذكر الاسفرايني رحمه الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه
وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك
الى الحائط الذي كنت فيه ينبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك
خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى
له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل
مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قد فعلت ذلك ثم قال اختار دار البقاء على دار
الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا
الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص ،
وايمن وابو نضرة ، وابن المسيب ، وسعيد بن ابي كرب ، وكريب وابو صالح ،
ورواه عن انس بن مالك ، الحسن وثابت ، واسحق بن ابي طلحة ، ورواه
عن ابن عمر نافع ، وابو حية ، ورواه ابو نضرة ، وابو الوداك ، عن ابي سعيد
وعمار بن ابي عمار ، عن ابن عباس ، وابو حازم ، وعباس بن سهل بن سعد
عن سهل بن سعد ، وكثير بن زيد ، عن المطلب ، وعبد الله بن بريدة ، عن ابيه

والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا
حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم
من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره بمن دون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل ومثل هذا في ساير الجمادات

حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن المرابط حدثنا المهلب ابو القاسم حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا
المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى ابو احمد
الزبيري قال حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية
عن ابن مسعود رضي الله عنه نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه
وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر رضي الله عنه فسبحن ثم في
ايدينا فما سبحن وروى مثله ابوذر رضي الله عنه وذكر انهن سبحن
في كف عمر وعثمان رضي الله عنهما وقال علي كرم الله وجهه و
رضي الله عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عنه عليه
السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود
وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا
شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن

عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر الا سجد له وفي حديث العباس
رضي الله عنه اذا اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة
ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملائته فامنت اسكفة الباب
وحوايط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه رحمهما الله
مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس رضي الله عنه صعد
النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه في حراء وزاد معه
علي وطلحة والزبير فقال انما عليك او صديق او شهيد والخبر
في حراء ايضا عن عثمان رضي الله عنه قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي
حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي
انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف
ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي رسول الله وروى
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر ما قدروا الله حق قدره
ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال
فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كان حول البيت ستون وثلث مائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص
في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح
جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
الاية فما اشار لوجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى
ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه

وقال فجعل يطعنها و يقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ۝
ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه كان
الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة
للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر
ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال
واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظلله فلما دنا من القوم وجدهم
قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه ۝

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ حدثنا القاضي يونس
حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده
قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس
بن عمرو حدثنا مجاهد عن عايشة رضي الله عنها قالت كان عندنا
داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه
فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب
وروى عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا
نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك او يؤمن هذا الضب
وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان
مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة
قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي
البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب

من كذبك فاسلم الاعرابي ۝ ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا راع يرعى غنما له عرض
الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي
الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم
بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى
الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول
وروى حديث الذئب عن ابي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق
عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث
الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف
اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير
في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع
فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي
صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد
الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها
وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب هذه القصة وسبب اسلامه بمثل
حديث ابي سعيد رضي الله عنهم ۝ وقد روى ابن وهب مثل هذا انه
جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ
ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال
الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه
الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا لتتركنها
خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه ۝

وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر
الذى ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال
يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه ۞ وعن
جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن رجل اتى النبى صلى الله عليه وسلم وامن به
وهو على بعض حصون خيبر وكان فى غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله
كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدى عنك امانتك
ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها
وعن انس رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم حايطا انصارى
وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحايط غنم فسجدت له فقال
ابو بكر رضى الله عنه نحن احق بالسجود ذلك منها الحديث ۞
وعن ابى هريرة رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم حايطا فجاء
بعير فسجد له وذكر مثله ۞ ومثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر
بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله جعفر قال وكان لا يدخل
احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبى صلى الله عليه
وسلم دعاه فوضع مشفره فى الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال
ما بين السماء والارض شئ الا يعلم انى رسول الله الا عاصى الجن والانس
ومثله عن عبد الله بن ابى اوفى رضى الله عنه وفى خبر اخر فى حديث
الجمل ان النبى صلى الله عليه وسلم سألهم عن شانه فاخبروه انهم
ارادوا ذبحه ۞ وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم
انه شكى كثرة العمل وقلة العلف ۞ وفى رواية انه شكى الى انكم اردتم
ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره فقالوا نعم ۞ وقد
روى فى قصة العضباء وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم وتعريفها

له بنفسها ومبادرة العشب اليها فى الرعى وتجنب الوحوش عنها ونداءهم
لها انك لمحمد وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائنى
وروى بن وهب رحمه الله ان حمام مكة اظلت النبى صلى الله عليه و
سلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة ۞ وروى عن انس وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنهم ان النبى صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبى صلى الله عليه وسلم فسترته
وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفى حديث اخر وان العنكبوت نسجت
على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان
ببابه والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله
بن قرط الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع
لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ ۞ وعن ام سلمة رضى الله
عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية يا رسول الله
قال ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك
الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما فارجع قال وتفعلين قالت
نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابى قال يا رسول الله
لك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء
وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ۞ ومن هذا الباب
ما روى من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقى الاسد فعرفه انه مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ۞ ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر
فى منصرفه مثل ذلك ۞ وفى رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به
فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ۞ فجعل يغمزنى بمنكبه حتى اقامنى على الطريق واخذ عليه السلام

باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسمًا
وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها ۞ وماروى عن ابرهيم بن حماد
بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر ۞ وقال له اسمي يزيد بن
شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى
دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي
صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث
الناقة التي شهدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه ۞ وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم
زهاء ثلاث مائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند
ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت
رواه بن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام ۞
وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى
نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى الله عليه وسلم
ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما وجه رسوله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم وحد فاصبح كل رجل
منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه اليهم ۞ والحديث في هذا الباب
كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة ۞

فصل في احياء الموتى وكلامهم

وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد هشام
بن احمد الفقيه بقرائتي عليه ۞ والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا

ابو علي

الجزء العاشر



ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى
حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا وهب
بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
رضي الله عنهما ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة
مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم واكل القوم فقال
ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء رضي الله
عنه وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك
الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت
فقد روى هذا الحديث انس رضي الله عنه وفيه قالت اردت قتلك فقال
ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا ۞ وكذلك
روى عن ابي هريرة رضي الله عنه من رواية غير وهب قال فما عرض لها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني هذه الذراع قال ولم يعاقبها
وفي رواية الحسن رحمه الله ان فخذها تكلمني انها مسمومة ۞ وفي رواية
ابي سلمة بن عبد الرحمن قالت اني مسمومة ۞ وكذلك ذكر الخبر بن
اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس رضي الله عنه
انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان
اوان قطعت ابهري ۞ وحكى بن اسحق رحمه الله ان كان المسلمون ليرون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة
وقال بن سحنون رحمه الله اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
في ذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه ۞ وانس وجابر رضي الله عنهما

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها
وكذلك قد اختلفوا في قتله الذي سحره قال الواقدي رحمه الله وعفوه
عليه الصلاة والسلام عنه اثبت عندنا وروي عنه انه قتله ۞ وروى
الحديث البزار رحمه الله عن ابي سعيد رضي الله عنه فذكر مثله الا انه قال
في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا
احدا قال القاضي ابو الفضل رضي الله وقد خرج حديث الشاة
المسمومة اهل الصحيح ۞ وخرجه الائمة وهو حديث مشهود واختلف
ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قايل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى
في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله تعالى
فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب
الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا الى ايجاد
الحياة بها اولا ثم الكلام بعده ۞ وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي
الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف
والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها ۞ فاما
اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلابد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد
كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين ساير متكلمي الفرق في احالة
وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب
يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع
والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا
وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد
من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية
شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر
والموفق الله ۞ وروى وكيع ورفعه عن فهد بن عطية ان النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وروي عن معرض بن معيقيب رضي
الله عنه رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد
فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة
اسم راويه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت
هذه القصة بمكة في حجة الوداع ۞ وعن الحسن اتى رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم ۞ فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي
وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك
وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما
قالت لا حاجة لي فيهما اني وجدت الله خيرا لي منهما ۞ وعن انس رضي
الله عنه ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناه
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك
والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة قال
فما برحنا الى ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا ۞ وروي عن عبد
الله بن عبد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس
رضي الله عنه وكان قتل باليمامة فسمعناه يقول حين ادخلناه القبر
محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم
فنظرناه فاذا هو ميت ۞ وذكر عن نعمان بن بشير ان زيد بن خارجة
رضي الله عنه خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين
العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب
الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ۞ ثم قال

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في ابراء المرضى وذوي

العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال
حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابو الورد عن
البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق حدثنا ابن شهاب
وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد بطولها قال
وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لينا ولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان
حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن
عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عمر بن قتادة
ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة
في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان
بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري
قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه
اليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن
بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي
ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها
متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلي عن حبيب بن مذيك ويقال فديك ان اباه ابيضت عيناه
فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه
فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين وروى كلثوم بن

حصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرئ
وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عين علي رضي الله عنه
يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع
رضي الله عنه يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن
ابي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع
ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن
روايته ايضا ان حبيب بن يساف رضي الله عنه اصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي
به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها
بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن
ابن عباس رضي الله عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع
ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع
محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت
في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر
وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة
الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن
يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القى عليها من الحياء

ما لم أمرأة بالمدينة اشد حياءً منها

فصل في اجابة دعائه صلى الله

عليه وسلم وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم لجماعة بما دعى لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد
جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل
ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقرائتي عليه
حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد
المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله
بن ابي الاسود حدثنا حرمي اخبرنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه
قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر
ماله وولده وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة قال انس رضي الله
عنه فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو
المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد
دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه
دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا
لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من
تركته بالفوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن
اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احديهن لانه طلقها في
مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية
في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها
سبع مائة بعير وردت عليه من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها
واحلاسها ودعا لمعوية بالتمكن في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن
ابي وقاص رضي الله عنه ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب

له ودعا بعز الاسلام بعمر او ابي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه
قال ابن مسعود فما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في بعض
مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم
ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا
وقال صلى الله عليه وسلم لابي قتادة رضي الله عنه افلح وجهك اللهم
بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة
سنة وقال صلى الله عليه وسلم للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت
له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له
اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس رضي
الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان
القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما بالبركة في صفقة يمينه
فما اشترى شيئا الا ربح فيه فدعا صلى الله عليه وسلم للمقداد بالبركة
فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد رضي الله عنه
وقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال
البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة
ايضا وندت له ناقة فدعا فجاءه بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا
صلى الله عليه وسلم لام ابي هريرة رضي الله عنهما فاسلمت ودعا لعلي
كرم الله وجهه ورضي الله عنه ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا
لفاطمة ابنته رضي الله عنها ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد
وسأله الطفيل بن عمرو اية اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال
يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة
المظلمة فسمي ذا النور ودعا صلى الله عليه وسلم ودعى على مضر

فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين
مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في
اقطار البلاد ودعا صلى الله عليه وسلم على صبي قطع عليه صلوته ان يقطع
الله اثره فاقعد ۞ وقال لرجل ياكل بشماله كل بيمينك فقال
لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال صلى الله عليه
وسلم لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وقال عليه السلام لامرأة لاكلك الاسد فاكلها ۞ وحديثه المشهور
من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في دعائه على قريش حين وضعوا
السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد
رأيتهم قتلوا يوم بدر ۞ ودعا صلى الله عليه وسلم على الحكم بن ابي العص
وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اى لافراه ۞
فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا عليه السلام
على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات
فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي وجحده
رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة رضي الله عنه للنبي صلى الله
عليه وسلم فرد الفرس فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل
وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية
برجلها اى رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به ۞

فصل في كراماته وبركاته

وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد حدثنا
ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد
الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا
ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا

البخاري ۞ حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن
مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره بطأ فلما رجع
قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعدها لا يجارى ۞ ونخس صلى الله عليه
وسلم جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع
صلى الله عليه وسلم ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه
وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا
وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن وليد
رضي الله عنه ۞ ولم يشهد بها قتالا الا رزق النصر ۞ وفي الصحيح
اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها اخرجت جبة طيالسة
وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها
للمرضى نستشفي بها حدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القسم ابن
المأمون رحمهما الله قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي
صلى الله عليه وسلم ۞ فكنا نجعل فيها للمرضى فيستشفون بها واخذ
جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته
فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول
وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبصق في بئر كانت
في دار انس رضي الله عنه فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسأل
عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك
واعطى الحسن والحسين رضي الله عنهما لسانه فمصاه وكانا يبكيان
من عطش فسكتا فكان لام مالك رضي الله عنها عكة تهدي

فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم
ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوة سمنا فبقي بنوها يسالو
الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم
ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم
ريقه الى الليل ۞ ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان
حين كاتب مواليه على ثلاث مائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم
وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له
بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها
النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار رحمه الله فاطعم
النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها
فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان اداها
على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم
وفي حديث حبش بن عقيل رضي الله عنه سقاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم شربة من سويق شربا اولها وشربت آخرها فما برحت
اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظميت واعطا صلى الله
عليه وسلم قتادة بن النعمان رضي الله عنه وصلى معه العشاء في ليلة
مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك
عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج
فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته وجد السواد فضربه
حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة رضي الله عنه جزل حطب وقال
اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل
القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون

ودفع

ودفعه لعبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب
نخل فرجع في يده سيفا ۞ ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في درور
الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معوية بن ثور
وشاة انس وغنم حليمة مرضعته صلى الله عليه وسلم وشارفها وشاة
عبد الله بن مسعود كانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين ۞ ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان
اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب
وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة رحمه الله تعالى ومسح على راس عمير
بن سعد رضي الله عنه وبرك فمات فهو ابن ثمانين فما شاب وروي
مثل هذا القصص عن واحد منهم السايب ابن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسح يده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو
رضي الله عنه ۞ وكان خرج يوم حنين ودعا له غرة الغرة الفرس ومسح
على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض
وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه يده من شعره اسود
فكان يدعى الاغر ۞ وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني
ومسح على وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان
فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ۞ ووضع يده
صلى الله عليه وسلم على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة
يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ۞ ونضح في وجه زينب بنت
ام سلمة رضي الله عنها نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال
ما بها ۞ ومسح على راس صبي به عاهة فبرا واستوى شعره وعلى غير واحد

من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا واتاه رجل بادرة فامره ان ينضحها بماء
من عين مج فيها ففعل فبرء ❁ وعن طاووس رحمه الله لم يوت النبي صلى
الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس الجنون ومج في دلو
من بئر ثم صبت فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب
يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا
يمسحون القذا عن اعينهم ❁ وشكى اليه ابو هريرة رضي الله عنه النسيان
فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد
وما يروى عنه وضرب في صدر جرير بن عبد الله رضي الله عنه ودعا
له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح
صلى الله عليه وسلم رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رضي الله عنه وهو
صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما ❁

فصل ومن ذلك ما اطلع عليه

من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف
غمره وهذا المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها
على التواتر الكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ❁ حدثنا
الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقرأته على غيره قال
ابو بكر ❁ حدثنا ابو علي التستري قال حدثنا ابو عمر الهاشمي ❁ حدثنا
اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش
عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁
مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه ❁
حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون
منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم
اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة رضي الله عنه ما ادري انسي اصحابي

ام تناسوه

تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد فتنة الى
ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثماية فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم
ابيه وقبيلته وقال ابو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما ❁ وقد
خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم ❁ مما وعدهم
به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق
وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان
المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يد علي رضي الله في غد يومه وما
يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح
في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما
تستر الكعبة ❁ ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ
وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم
بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم
وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر
حتى لا قيصر بعده ❁ وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب
الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن
والهرج ❁ وقال صلى الله عليه وسلم ❁ وقال ويل للعرب من شر
قد اقترب وانه زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امته ما زوى له منها ❁ فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه ❁

وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال
مثل ذلك ۝ وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
وذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب
وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب ۝ وقد ورد المغرب
كذا في الحديث بمعناه ۝ وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا تزال
طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله
وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال بيت المقدس واخبر
بملك بني امية وولاية معوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا
وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج
المهدي ۝ وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم ۝ وقتل علي رضي
الله عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من رأسه
وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار فكان فيمن عاداه
الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه وقال
يقتل عثمان رضي الله عنه وهو يقرء المصحف وان الله عسى ان يلبسه
قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله
وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي رضي الله عنهما
وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد
ما كادت فنبحت على عائشة رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان
عمارا رضي الله عنه تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية ۝ وقال
لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس ۝ وقال صلى الله
عليه وسلم في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه
وقال صلى الله عليه وسلم في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب
وحذيفة رضي الله عنهم اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل

عن بعض

عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
فيها ۝ وقال في حنظلة الغسيل رضي الله عنه سلوا عنه زوجته فاني
رأيت الملئكة تغسله فسئلوها فقالت فانه خرج جنبا وعجل الحال
عن الغسل ۝ قال ابو سعيد رضي الله عنه فوجدنا رأسه يقطر ماء
وقال الخلافة في قريش ولن يزال الامر في قريش ما اقاموا الدين ۝
وقال صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج
والمختار ۝ وبان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة رضي الله عنها اول
اهله لحوقا به صلى الله عليه وسلم وانذر بالردة وبان الخلافة بعده
ثلثون ۝ ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما
وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة
وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة
واخبر بشان اويس القرني رحمه الله وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
وسيكون في امتي ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلثون
رجلا كذابا اخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال
يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم
الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان ۝ وقال صلى
الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم
يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون
وينذرون ولا يوفون ۝ وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده شر
منه ۝ وقال هلاك امتي على يد اغيلمة من قريش ۝ قال ابو هريرة
رضي الله عنه راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان بنو فلان ۝ واخبر
بظهور القدرية والرافضة ۝ وسب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار
حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم ۝

جماعة وانهم سيلفون بعده اثره ولخبر بشان الخوارج وصفتهم
والمخدج الذی فيهم وان سيماهم التحليق ويری رعاء الغنم رؤس
الناس والعراة الحفاة يتبارون فی البنيان وان تلد الامة ربتها وان
قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم ۞ ولخبر صلی الله عليه
وسلم بالموتان الذی يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنی
البصرة وانهم يغزون فی البحر كالملوك علی الاسرة وان الذين لو كان
منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح فی غزاة فقال
هاجت لموت منافق فلما رجعوا الی المدينة وجدوا ذلك ۞ وقال لقوم
من جلسائه ضرس احدكم فی النار اعظم من احد قال ابو هريرة رضی الله
عنه فذهب القوم يعنی ماتوا وبقيت انا ورجل مرتدا يوم اليمامة
واعلم صلی الله عليه وسلم بالذی غل خرزا من خرز يهود فوجدت فی رحله
وبالذی غل شملة وحيث هی ناقته صلی الله عليه وسلم حين ضلت
وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب رضی الله عنه
الی اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه علی قتل
النبی صلی الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبی صلی الله عليه وسلم
قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلی الله عليه وسلم علی الامر والسر
اسلم ۞ ولخبر صلی الله عليه وسلم بالمال الذی تركه عمه العباس عند ام
الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيری وغيرها فاسلم واعلم صلی الله
عليه وسلم بانه سيقتل ابی بن خلف وفی عتبة بن ابی لهب انه ياكله
كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال فی الحسن رضی
الله عنه ان ابنی هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ۞ ولسعد رضی الله
عنه لعلك تخلف حتی ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون
واخبر صلی الله عليه وسلم ۞ بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر

اورند وبموت النجاشی رحمه الله يوم مات وهو بارضه ۞ ولخبر صلی الله
عليه وسلم فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسری بموت كسری ذلك
فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر صلی الله عليه وسلم ابا ذر بتطريده
كما كان ووجده فی المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال
اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده
وموته وحده ولخبر صلی الله عليه وسلم ۞ ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن
يدا فكانت زينب رضی الله عنها لطول يدها بالصدقة ۞ ولخبر بقتل
الحسين رضی الله عنه بالطف ولخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه
وقال فی زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الی الجنة فقطعت
يده فی الجهاد ۞ وقال صلی الله عليه وسلم فی الذين كانوا معه
علی حراء اثبت فانما عليك نبی وصديق وشهيد فقتل علی وعمر
وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد رضی الله عنهم ۞ وقال
صلی الله عليه وسلم لسراقة كيف بك اذا البست سواری كسری فلما
اتی بهما عمر رضی الله عنه البسهما اياه وقال الحمد لله الذی سلبهما
كسری والبسهما سراقة وقال صلی الله عليه وسلم تبنی مدينة بين
دجلة ودجيل ۞ وقطربل والصراة تجبی اليها خزائن الارض يخسف
بها يعنی بغداد ۞ وقال سيكون فی هذه الامة رجل يقال له
الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه ۞ وقال صلی الله عليه
وسلم لا تقوم الساعة حتی تقتتل فئتان دعوتهما واحدة ۞ وقال
صلی الله عليه وسلم لعمر فی سهيل بن عمرو وعسی ان تقوم مقاما يسرك
يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابی بكر يوم بلغهم موت النبی
صلی الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوی بصايرهم
وقال صلی الله عليه وسلم بخالد حين وجهه لاكيدر انك

نجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته كما قال
عليه السلام الحما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه
من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفى المؤمنين حتى ان كان
بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته
حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم
وكونه فى مشط ومشاطة فى جف طلع نخلة ذكر وانه القى فى بئر ذروان
فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه صلى الله عليه وسلم
قريشا باكل الارضة ما فى صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم وقطعوا
بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار
قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه
واعلامهم بعيرهم التى مر عليها فى طريقه وانذارهم بوقت وصولها
فكان كله كما قال عليه الصلاة والسلام الحما اخبر به من الحوادث التى
تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله صلى الله عليه وسلم
عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة فتح القسطنطينية
ومن اشراط الساعات وايات حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار
والفجار والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا
مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث
التى ذكرنا كفاية واكثرها فى الصحيح وعند الائمة

فصل فى عصمة الله تعالى

له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس
وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال الله اليس الله
بكاف عبده وقيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال
الله تعالى انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر

وقال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضى الشهيد
ابو على الصدفى قراءة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافرى
قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفى قال حدثنا ابو يعلى البغدادى حدثنا
ابو على السنجى حدثنا ابو العباس المروزى حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا
عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابرهيم حدثنا الحرث بن عبيد عن سعيد
الجريرى عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضى الله عنها قالت
كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك
من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم
يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى عز وجل وروى ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابى
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك منى فقال الله فارعدت يد الاعرابى
وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية هذه
القصة فى الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وان النبى
صلى الله عليه وسلم عفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير
الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد
من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد
روى انه وقع له مثلها فى غزوة بنى غطفان بذى امر مع رجل اسمه دعثور
بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغزوه وكان سيدهم
واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال انى نظرت الى رجل
ابيض طويل دفع صدرى فوقعت لظهرى فسقط السيف فعرفت انه ملك
واسلمت وقيل فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفى رواية الخطابى
رحمه الله ان غورث بن الحرث المحاربى اراد ان يفتك بالنبى صلى الله

عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم
اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه
من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى
ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد رحمه الله قال كانت حمالة
الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانما يطأها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول
تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله به مع زوجها من الذم اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله
عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابي بكر رضي الله
عنه واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر
رضي الله عنه اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاصي تواعدنا على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد
فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا
ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه
وعن عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعناه فافتتح وقرأ الحاقة
الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال
انج وفرا هاربين فكان من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه ومنه
العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجتمعت على
قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله



على ابصارهم وذرا التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤسهم
وخلص منهم وحمايته عن رؤسهم في الغار بما هيأ الله له من الايات
ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف الغار
ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما اراه قبل ان يولد محمد ووقفت
حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كان هنالك
الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت
قريش فيه وفي ابو بكر الجعايل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب
منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم فرسه فخر عنها
واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله عنه
يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن
ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتها وخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوايمها مثل الدخان فناديهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه
وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول
للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي
فادعوا الي فنجا ووقع لنفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي
خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة
ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع والنبي ما خرج له حتى رجع الى موضعه
وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش
ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل
يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت
يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه

فسألوه عن شأنه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي
رحمه الله ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس
الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه
فلم يرهم حتى نادوه وذكر في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني
قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش
احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف
الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت ۞ وحكى
السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتل
عمر بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك
ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر
اهل التفسير ومع الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ۞ ان ابا جهل وعد
قريشا لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليطأن رقبته فلما
صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على
خندق مملوء نارا كدت اهوى فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة
قد ملأت الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان
ليطغى الى آخر السورة ۞ ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم

حنين

حنين وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك
ثأري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه
قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت
هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري
وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي
ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت
ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه عن فضالة بن عمرو اردت قتل النبي
صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه
قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك
واستغفر لي ووضع على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق
الله شيئا احب الي منه ۞ ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد
بن قيس حين وفدا على النبي كان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد
فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت
ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى
ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم
بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه
امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه السلام ۞

فصل ومن معجزاته الباهرة

ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع
مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة
عباده ومصالح امته وما كان في الامم وقصص الانبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم
ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف

ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة
من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم
باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيره
الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب
فصاحاتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها
والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم
البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع
الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق
ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل
سليم شيء الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية
به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان
عليه ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به
انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار آجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب
والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ
اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا في علمهم
كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طاير ۞ قوله
صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه
ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن
تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة وما روي عنه عليه
الصلوة والسلام في حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قوله المعدة
حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه
لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدار القطني وقوله صلى الله عليه

وسلم

وسلم خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة
يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين ۞ وفي العود الهندي
سبعة اشفية وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا
من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم وقد سأل عن سبأ ارجل هو ام
امرأة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم
اربعة الحديث لطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك ۞
مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك
وقوله صلى الله عليه وسلم حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها ۞ وقوله
صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم في الحوض زواياه سواء ۞ وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون
على اللسان والف وخمسمائة في الميزان ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم
وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة
وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع
القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان
لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف
الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم ۞
رواه بن شعبان من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ۞ وقوله
في الحديث الآخر الذي يروى عن معوية رضي الله عنه انه كان
يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم
واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم

وحسن الله ومدّ الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه
عليه الصلاة والسلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة
والقراءة ۞ واما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني
اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك
حفظه لكثير من لغات الامم ۞ كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
سنة سنة وهي حسنة بالحبشية ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم ويكثر
الهرج وهو القتل بها ۞ وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث
ابي هريرة رضي الله عنه ۞ اشكنب درد م اي وجع البطن بالفارسية
الى غير ذلك مما لا يعلم بعد هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مادرس
الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل
كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف ولا يصحبه
من هذه صفته ولا نشاء بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه
الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلوا
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت غاية معارف
العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم
بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا
الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء
مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير
الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسانُ الذي يُلحِدُونَ
إِلَيهِ أعجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبيٌّ مُبِينٌ ۞ ثم ما قالوه مكابرة العيان
فان الذي نسبوا تعليمه اليه ۞ اما سلمان او العبد الرومي فكان سلمان
وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل
بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما

أعجمي

أعجمي اللسان وهم فصحاء اللدّ والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة
ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف
باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار
على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي
عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل
عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على
كثرة عدده ودؤب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه
ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل نضر بن الحارث
بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن
قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد
منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم
ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة
يحتمل فيها تعليم القليل فكيف بالكثير بل كان في سفره في صحبة قومه
ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة
من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان
هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به من معجز القرآن قاطعا لكل عذر
ومدحضا لكل حجة شبهة ومجليا لكل امر ۞

فصل ومن خصائصه عليه السلام

وكراماته وباهر اياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله بالملائكة وطاعة
الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه
فان الله هو موليه وجبريل الاية وقال الله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني
معكم فثبتوا الذين امنوا وقال الله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
اني ممدكم الايتين وقال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون

القرآن الاية ۞ حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه لسماعي عليه حدثنا
ابو الليث السمرقندي قال حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد
الجلودي حدثنا ابو سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبد الله بن معاذ
حدثنا ابي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش
عن عبد الله قال لقد رأى من ايات ربه الكبرى قال لقد
رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل
واسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور
بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد رآهم بحضرة جماعة من اصحابه
في مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأل
عن الاسلام والايمان ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما رضي الله
عنهما عنده جبريل في صورة دحية الكلبي ورأى سعد رضي الله عنه
على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب
بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر
وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى
ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء
والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين
رضي الله عنه ورأى النبي صلى الله وسلم لحمزة رضي الله عنه جبريل
في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر
ابن سعد رضي الله عنه ان مصعب بن عمير رضي الله عنه لما قتل يوم
احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك
وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه

قال

قال بينا جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من
انت قال انا هامة ابن الهيم بن لاقس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا
ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا
من القرآن وذكر الواقدي رحمه الله قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء
التي خرجت له ناشرة شعرها عريانا فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه السلام ان شيطانا
تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت
ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت
دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله خاسئا
وهذا باب واسع ۞

فصل ومن دلائل نبوته

وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار
وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين
المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوي وسفيان
بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما
عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري
وعلماء يهود وشاموك عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما
الفي من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله
عنهم ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين
بصري ومخيريق وكعب وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان
والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء

النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن
اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود
ممن حمله الحسد والنفاسة على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر
وقد قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة
اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف
ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على
الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم
اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله كان اظهاره اهون عليهم من بذل
النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق
وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل
الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بنت كريز وفاطمة بنت النعمان
ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول
وقت رسالته وسمع من هواتف الجان من ذبايح النصب واجواف
الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له
بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره
مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات

عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه رافعا
رأسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور
الذي خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن
ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر

الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام
على يدي واستهل سمعت قايلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين
المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها
ظيراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة
شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان
وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام
تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا
فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان ساير ولد ابي طالب يصبحون
شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام
ايمن حاضنته ما رأيته شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك
حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق
السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية
وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء
الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى
فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال
اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية
ان خديجة رضي الله عنها ونساءها رأينه عليه الصلاة والسلام لما قدم
وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج
معه في سفره وقد روي ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي
ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل
مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فاشرقت
وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر

الاخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان
نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة
اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة
وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير
الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه
وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك
الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله وندايهم الذي سمعوه الا ينزعوا
القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة اهل
بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته وموته كاستسقاء
عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل قال القاضي ابو الفضل

قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات
نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى
ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض ونص
المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا
من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى ان يكون ديوانا
جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يوت
نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس
على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم
من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة

فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل
اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة
وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا كقوله تعالى فأتوا
بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق
يطول بسطه واذ كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة
وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك
الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد
من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر
من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة
الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد
كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف
هذا في حق القرآن فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه
ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه
الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جملته تبلغ نحوا من هذا
الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات
الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه
قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث
اليهم بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق
عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذا زمن عيسى عليه
السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون

عليه وانا هم ما لم يجتنبوه من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون
معالجة ولا طب وهكذا ساير معجزات الانبياء عليهم السلام ثم ان
الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب
وعلومها اربعة ، البلاغة ، والشعر ، والخبر ، والكهانة ، فانزل
عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز
والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب
العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان
منهجه ومن الاخبار عن الكواين والحوادث والاسرار والمخبات والضماير
فتوجد على ما كانت ويعرف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان
اعدا العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها
من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون
السالفة وانباء الانبياء والامم البايدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ
لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت
هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخرى التي ذكرناها في معجزات
القرآن ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك
على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه
السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا وتظهر فيه صدقه بظهور مخبره على
ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين
وان كان كل عندها حقا وساير معجزات الرسل عليهم السلام انقرضت
بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام
بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا القاضي ابو الوليد

حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن
ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجوا اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا
معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله وذهب
غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزات نبينا صلى الله
عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها وكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخيل
فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون
لها باشياء طمعوا في التخيل بها على الضعفاء كالقاء الشجرة حبالهم
وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام
ليس للحيلة ولا للسحر والتخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم
اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا
او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى
وفي هذا التاويل الثاني ما يغمص الجفن عليه ويغضي ووجه ثالث
على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر
فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله
من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله
لم يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا
فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم
ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب
النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد
ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا

عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني
وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها
كقلب العصى حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك
من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان
يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلايق منذ من السنين
بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي
على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي
آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة
عنهم فكان ذلك فعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر آية
واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور
آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام
العرب وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم
وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم
لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم
فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم
وعبدوا المسيح بعد اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ
افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي
هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها تعترف بالصانع وانما كانت
تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل
الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم
الرسول بكتاب الله فهموا حكمته فتبينوا بفضل ادراكهم لاول

وهذه

وهذه معجزة فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته
وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته والى في معنى
هذا ما يلوح رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق وقد قدمنا في بيان
معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه
المسالك وظهورها وبالله استعين تم الجزء الاول بحمد الله
وعونه ولطفه وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني فيما يجب على الانام

من حقوقه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول
الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته
وتوقيره وبره وحكم الصلاة والتسليم وزيارة قبره عليه السلام

الباب الاول في فرض الايمان

به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة
رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا
بالله ورسوله والنور الذي انزلنا قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الآية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين
لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن
لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد
الخشني الفقيه بقراءتي عليه حدثنا الامام ابو علي الطبري حدثنا عبد
الغافر الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين
حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء

بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل حتى يشهدوا الا اله الا
الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي ابو الفضل والايمان به
عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جا
به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان
بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق والشهادة
بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث
نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا
في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان
الاسلام ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه
ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به يحتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة
واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب
وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم
وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمايرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم
في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل
من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان

وحكم

في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين احكامهم على الظواهر
بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا
بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك
وقال هل لا شققت عن قلبه وللفرق بين القول ما جعل في حديث
جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان
بين هذين احديهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة
بلسانه فاختلف فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به وراه
بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان
في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن
بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية
ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق
بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل
هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها
غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة
انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق
مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام
في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي
ممتنع على مجرد التصديق لا يصح التجزي فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد
عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة
يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب
وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرناه غنية فيما
قصدنا ان شاء الله تعالى

فصل واما وجوب طاعته

فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك
مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله و
قال قل اطيعوا الله والرسول وقال واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقال وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه
فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه
قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم
لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله
اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرايضه وسئل
سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتيكم الرسول فخذوه
وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرايضه والرسول في سنته
وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال
اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة
حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
البخاري حدثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا يونس عن الزهري اخبرني
ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابي هريرة رضي الله عنه يقول ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته

فطاعة

الجزء الثاني عشر
١٢



فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعته وقد حكى الله عن الكفار في دركات
جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام
اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم كل امتي
يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت
الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة من قومه
فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا
مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل
من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق
وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث
داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي
لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع
محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

فصل واما وجوب اتباعه

وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم
واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة

حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر الاية قال محمد بن على
الترمدى الاسوة فى الرسول الاقتداء به والاتباع السنة وترك
مخالفته فى قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل
هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل فى قوله صراط الذين
انعمت عليهم بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء
باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى فى الاية
الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه
نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك
الاعتراض عليه وروى عن الحسن رحمه الله ان اقواما قالوا يا رسول الله
انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية وروى
ان الاية نزلت فى كعب بن اشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه
ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد
لله والرسول طاعته لهما ورضاه بامرهما ومحبة الله لهم عفوه عنهم
وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق
ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصى الاله وانت تظهر حبه ، هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ، ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له
رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال
القشيرى فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات
الذات وسياتى بعد فى ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى

حدثنا

حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى
بن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراتى عليه قالا
حدثنا حاتم بن محمد قال حدثنا ابو حفص الجهنى حدثنا ابو بكر الاجرى
حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزى حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد
بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو
الاسلمى وحجر الكلاعى عن العرباض بن سارية فى حديثه فى موعظة النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين
المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة
وكل بدعة ضلالة زاد فى حديث جابر بمعناه وكل ضلالة فى النار
وفى حديث ابى رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكيا على اريكته
ياتيه الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا
فى كتاب الله اتبعناه وفى حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيأ ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله
عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشىء اصنعه
فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروى عنه عليه السلام
انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثى وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثى خسر
الدنيا والاخرة امرت امتى ان ياخذوا بقولى ويطيعوا امرى ويتبعوا
سنتى فمن رضى بقولى فقد رضى بالقران قال الله تعالى وما اتيكم
الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بى فهو منى
ومن رغب عن سنتى فليس منى وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى
هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل
اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن
قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال
عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر مأة شهيد وقال عليه السلام
ان بني اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان امتي تفترق
على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله
قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس رضي الله عنه قال
عليه السلام من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي في الجنة
وعن عمرو بن عوف المزني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له
من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن
ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل آثام من
عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيء

فصل واما ورد عن السلف

والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو
عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال
حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ
ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى
حدثنا مالك ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سأل
عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف
وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن

اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وولاة الامر من بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال
لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر
في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن
خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت
مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا
الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم
السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني
بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي
خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه
حين قرن فقال له عثمان رضي الله عنه ترى اني انهى الناس عنه
وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي
ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول القصد في السنة خير
من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر رضي الله عنهما صلاة
السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب رضي
الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على
السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله
ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه

فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس
ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها
الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا
في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون
عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى عمر بحال بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة
وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر رضي الله عنه خذهم بالبينة وما
جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء
رحمه الله في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب
الله وسنة رسول الله وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه نظر الى
الحجر الاسود انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر يدير
ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري رضي الله
عنه من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى
على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري رحمه الله اصول
مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال
والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير
قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه
وحكي ان احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا
الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل

الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله
قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل

فصل واما مخالفة امره وتبديل

سنة ضلال وبدعة متوعد من الله عليها بالخذلان والعذاب قال الله
تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي
جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو القاسم حاتم
بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ
حدثنا احمد بن ابي سليمان حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم
حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته
وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا
فسحقا وروى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم
من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على
اريكته يأتيه الامر من امري بما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام
وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما
جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم

انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه السلام هلك
المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لست تاركا شيأ
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به انى ان تركت
شيأ من امره ان ازيغ

الباب الثانى

فى لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا
وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها
واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى من كان ماله واهله
وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى
ياتى الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل
ولم يهده الله حدثنا ابو على الغسانى الحافظ فيما اجازنيه وهو مما
قرأته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضى حدثنا
ابو محمد الاصيلى حدثنا المروزى حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا ابن علية
عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين وعن ابى هريرة رضى الله نحوه وعن انس رضى الله عنه
عنه عليه السلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان
يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لانت
احب الى من كل شىء الا نفسى التى بين جنبى فقال النبى صلى الله عليه

وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر رضى
الله عنه والذى انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى بين
جنبى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال
سهل رحمه الله من لم ير ولاية الرسول عليه السلام لا يذوق
حلاوة سنته لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه

فصل فى ثواب محبته

حدثنا ابو محمد بن عتاب بقرائتى عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا ابو الحسن على بن خلف حدثنا ابو زيد المروزى حدثنا محمد
بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا ابى حدثنا شعبة
عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابى جعد عن انس رضى الله عنه ان رجلا
اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله
قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم
ولا صدقة ولكنى احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن
صفوان بن قدامة هاجرت الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت
يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك فناولنى يده يا رسول الله انى
احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبى صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابى ذر
بمعناه رضى الله عنهم وعن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضى الله عنهما فقال من احبنى
واحب هذين واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيمة وروى
ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت
احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك فما اصبر حتى اجىء فانظر

اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت رفعت
مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا
به فقرأها عليه ۝ وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي اتمتع
من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل
الله الاية وفي حديث انس رضي الله عنه من احبني كان معي في الجنة ۝

فصل فيما ورد عن السلف

والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا
القاضي الشهيد ۝ حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم
لو رأني باهله وماله ۝ ومثله عن ابي ذر رضي الله عنه تقدم حديث
عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي
من نفسي وما تقدم من الصحابة رضوان الله عليهم ۝ في مثله وعن عمرو
بن العاصي ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝
وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراش
الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه
من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي
واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى
يغلبه النوم وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله

عليه

عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من
اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب اقر لعينك
ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاله للعباس ان تسلم احب الي
من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها
يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه
حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل ۝ وسئل
علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا واباءنا
وامهاتنا ومن الماء البارد على الظماء ۝ وعن زيد بن اسلم رحمه الله
خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش
صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني
وحبيبي الدار ۝ وروي ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت
رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه
فانتشرت ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته واحزناه فقال
واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وروي ان امرأة قالت لعايشة
رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته
لها فبكت حتى ماتت ۝ ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب
ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال
زيد رضي الله عنه والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه

تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس
احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم
حلّفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما
خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر رضي الله عنهما على ابن
الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما
قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته عليه السلام

اعلم من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان
مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر
علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع
اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب بادابه
في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض
عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين
تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة واسخاط العباد في رضى الله حدثنا القاضي ابو علي
الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا
محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد
بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن
المسيب قال قال انس بن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله

صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش
لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيى سنتي
فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة
فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو
ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي
حد في الخمر ولعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر
ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه
وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون
غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال رضي الله عنه
قال عمار رضي الله عنه عند قتله وكما ذكرنا من قصة خالد بن
معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره
واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي
كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا
واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل
ذلك محبة وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها
محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل
بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض
من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال
عليه السلام في الحسن والحسين رضي الله عنهما اللهم اني احبهما
فاحبهما وفي رواية في الحسن رضي الله عنه فاحب من يحبه
وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن

ابغضها فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال صلى الله
عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم عرضا فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال
في فاطمة رضي الله عنها انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال
لعايشة رضي الله عنها في اسامة بن زيد رضي الله عنه احبيه فاني
احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم
وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما من احب العرب فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم والحقيقة من احب كل شيء يحبه وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال
انس رضي الله عنه حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء
من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن
بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضي الله عنهم اتوا سلمى
رضي الله عنها وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر رضي الله عنه يلبس النعال
السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل
نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه
ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر
يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم
في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك
برأسه يعني اباه ومنها ان تحب القرآن الذي اتى به عليه السلام

وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عايشة رضي الله عنها كان
خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته
ويقف عند حدودها وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله
علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن
حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة
حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا الا يدخر منها
الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود رضي الله عنه
لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب
الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم
شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار
عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة
تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به
وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان
الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلا الوادي والجبل
الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل رحمه الله قال رجل
للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني لاحبك فقال انظر ما تقول
قال والله اني لاحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد
للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله

عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة
النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع
الحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان
المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت الى قوله تعالى

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد
نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم
المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم
المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب
لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب
الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون
حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون
موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات
الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم
مايل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه
معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور
عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مايل
الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع
من امة في اخرى ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واحترام
النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا
نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام
جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة
والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما
مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه
على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله له من رافته بهم
ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به
من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا

ونذيرا

ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر
فايدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم
من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدايم والنعيم السرمد
فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقة شرعا بما
قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان
وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين
معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع
فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى
بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر
من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته
فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل
وقد قال علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه في صفته عليه
السلام من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن
بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته عليه

السلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراتي
عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن

عبد المومن حدثنا ابوبكر التمار حدثنا ابوداود حدثنا احمد بن
يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن صالح عن عطاء بن يزيد عن
تميم الداری رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه
وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول
الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم قال
ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم
واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها
عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة
واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت
العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابوبكر بن اسحق الخفاف
النصح فعل الشیء الذی به الصلاح والملائمة مأخوذ من النصاح
وهو الخيط الذی يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج رحمه الله
نحوه فنصيحة الله تعالی صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه
بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد
عن مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به
والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه
والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهی عنه
قاله ابو سليمان وقال ابوبكر رحمهما الله وموازرته ونصرته و
حمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها
والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق
التجيبی رحمه الله نصيحة رسول الله صلی الله علیه وسلم التصديق
بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله

الى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد رحمه
الله من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلی
الله علیه وسلم قال ابوبكر الاجری وغيره رحمهم الله النصح
له يقتضی نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففی حياته نصح
اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له
وبذل النفوس والاموال دونه كما قال الله تعالی رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما
نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة
المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل
بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه
والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره
وادابه والصبر على ذلك فعلی ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات
المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكی الامام ابو القاسم
القشيری رحمه الله ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير
الثوار المعروف بالصفار رأی في النوم فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لی فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودی فاعجبتنی كثرتهم فتمنيت انی حضرت رسول الله صلی الله
عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لی ذلك وغفر لی واما
النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم
به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه
وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس
وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى
مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل

وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث

فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وقال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الثلاث الايات
وقال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فاوجب تعالى تعزيزه وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه وقال
ابن عباس رضى الله عنهما يعزروه يجلوه وقال المبرد رحمه الله
يعزروه يبالغوا فى تعظيمه وقال الاخفش رحمه الله ينصرونه وقال
الطبرى رحمه الله يعينونه وقرئ يعززوه بزائين من العز ونهى
عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على
قول ابن عباس رضى الله عنهما وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل
بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا
بشىء فى ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به
الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد وضحاك والسدى والثورى
رحمهم الله ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا
الله ان الله سميع عليم قال الماوردى رحمه الله اتقوه يعنى
فى التقدم وقال السلمى اتقوا الله فى اهمال حقه وتضييع حرمته
انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق

صوته



صوته والجهر له بالقول كجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما
ينادى بعضهم لبعض باسمه قال ابو محمد مكى رحمه الله اى
لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء
بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان
ينادى به يا رسول الله يا نبى الله وهذا كقوله فى الاية الاخرى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين قال
غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم
ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية فى وفد بنى تميم
وقيل فى غيرهم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد
اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الاية الاولى فى محاورة كانت بين ابى بكر وعمر رضى الله
عنهما بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما
حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس
رضى الله عنه خطيب النبى صلى الله عليه وسلم فى مفاخرة بنى تميم
وكان فى اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام فى منزله
وخشى ان يكون قد حبط عمله ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبى الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر
بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبى صلى الله عليه
وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة
فقتل يوم اليمامة وروى ان ابا بكر رضى الله عنه لما نزلت هذه
الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخى السرار وان
عمر رضى الله عنه كان اذا حدثه حدثه كاخى السرار ما كان يسمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى

فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون في غير بني تميم
نادوه باسمه ۞ وروى صفوان بن عسال رضي الله عنه بينا النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري
ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا ۞ قال بعض
المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله
عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ
مقتضاها انهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال
وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة
فنهى المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها
لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا ۞

فصل في عادة الصحابة

رضي الله عنهم في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله حدثنا
القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين
قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عيسى
حدثنا ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد بن المثنى وابو
معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد
اخبرنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري
قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال
وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل
في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت

ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه
من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فانهما
كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى
اسامة بن شريك رضي الله عنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير ۞ وفي حديث صفته اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير ۞ وقال عروة بن
مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا
وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا
تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا يسقط منه
شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده ولا يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال
يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه واني والله
ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه ۞ وفي رواية ان
رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت
قوما لا يسلمونه ابدا ۞ وعن انس رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون
ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان رضي
الله عنه في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم
اليهم في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ۞ وفي حديث طلحة رضي الله عنه ان اصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عن من قضى
نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع
طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه
وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما ۞ وفي حديث
المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافر
وقال البراء بن عازب رضي الله عنه لقد كنت اريد ان اسأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاوخر سنين من هيبته ۞

فصل واعلم ان حرمة النبي

صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال
حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده
ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله
بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال
القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين
رضي الله عنهم ۞ حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه
قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا
ابو الحسن علي بن فهر حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج حدثنا
ابو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل
حدثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المومنين مالكا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين

لا ترفع

لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان
الذين يغضون اصواتهم الآية وذم قوما ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر
وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو
وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيمة
بل استقبله واستشفع فيشفعه الله قال الله تعالى ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاؤك الآية وقال مالك رضي الله عنه وقد
سئل عن ايوب السختياني رحمه الله ما حدثتكم عن احد الا وايوب
افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه
كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه ۞ وقال مصعب
بن عبد الله رحمه الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما
في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت
ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا
الا يبكي حتى نرحمه ۞ ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة
والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر
وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على
طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال
اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه
وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان
عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر

الى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه فى فمه هيبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ۞ ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا
ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع
ولقد رأيت الزهرى وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده
النبى صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتى
صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين ۞ فاذا ذكر النبى
صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه
وروى عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل
ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال
قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبى وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن بن
مهدى رحمه الله اذا قرء حديث النبى صلى الله عليه وسلم امرهم
بالسكوت ۞ وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ويتأول
انه يجب له من الانصات عند قرأة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل فى سيرة السلف

فى تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو بكر
البرقانى وغيره حدثنا ابو الحسين الدارقطنى حدثنا على بن مبشر
حدثنا احمد بن سنان القطان ۞ حدثنا يزيد بن هرون ۞ حدثنا
المسعودى عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى
ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه ۞ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر

عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما
قريب من ذا ۞ وفى رواية فتربد وجهه وفى رواية وقد تغرغرت عيناه
وانتفخت اوداجه ۞ وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصارى
قاضى المدينة مر مالك بن انس على ابى حازم وهو يحدث فجاوزه
وقال انى لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قايم وقال مالك جاء رجل
الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه
فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال انى كرهت ان احدثك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع ۞ وروى عن محمد بن
سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبى صلى الله
عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له
وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك ابن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضاء وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مطرف كان اذا اتى الناس ۞ مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول
لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث والمسائل فان قالوا
المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل
وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه
رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال
يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي أويس رحمه الله فقيل
لمالك رضي الله عنه في ذلك وقال لحب ان اعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا
قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
عبد الله بن المبارك رحمه الله كنت عند مالك رحمه الله وهو يحدثنا
فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس
وتفرق الناس عنه قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم
عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بن مهدي مشيت يوما مع مالك رحمه الله الى
العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي لم كنت في عيني
اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قائم فامر بحبسه فقيل له ان ذلك لا يليق حبسه قال
القاضي لحق من ادب وذكر ان هشام بن الغازي وذكوا ابن
ابن عمار سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت
لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان
مالك والليث رحمهما الله لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران
وكان قتادة رحمه الله يستحب ان لا يقرأ احاديث النبي صلى الله
عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش
اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل ومن

١٢٤

فصل ومن توقيره صلى الله

عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض
عليه صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم
قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجز اهل البيت الاية
وقال الله تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد
العدل من كتابه وكتبت من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني
حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابو بكر الخفاف حدثني ابي حدثنا
حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو بن اسماعيل حدثنا يحيى هو
الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن
حيان عن زيد بن ارقم رضي الله عنه وعنهم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشدكم الله في اهل بيتي ثلاثا قلنا ليزيد من اهل
بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس رضي الله عنهم
وقال اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا كتاب الله وعترتي
اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم
معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط
والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم
هي معرفة مكانتهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك
عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة
لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجز اهل البيت الاية وذلك
في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فجللهم
بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب
عنهم الرجز وطهرهم تطهيرا وعن سعيد بن وقاص رضي
الله عنه نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا

وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلى وقال
النبى صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى
مولاه اللهم وآل من ولاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك
الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس رضى الله عنه
والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله
ومن آذى عمى فقد اذانى وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس
اغد على مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءة وقال هذا عمى
وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم فامنت
اسكفة الباب وحوايط البيت آمين آمين وكان يأخذ اسامة
بن زيد والحسن رضى الله عنهم اللهم انى احبهما فاحبهما وقال
ابو بكر رضى الله عنه ارقبوا محمدا فى اهل بيته وقال ايضا والذى
نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الى ان اصل
من قرابتى وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب
حسنا وحسينا وقال صلى الله عليه وسلم من احبنى واحب
هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معى فى درجتى
يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه
الله وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها
وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة لا تؤذونى فى عايشة
رضى الله عنها وعن عقبة بن الحرث رضى الله عنه رأيت ابا بكر
رضى الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابى شبيه
بالنبى ليس شبيها بعلى وعلى رضى الله عنه يضحك وروى
عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز
رحمه الله فى حاجة فقال لى اذا كانت لك حاجة فارسل الى

اواكتب فانى استحى من الله تعالى ان يراك على بابى وعن الشعبى رحمه
الله صلى زيد بن ثابت رضى الله عنه على جنازة امه ثم قربت
له بغلة ليركبها فجاءه بن عباس رضى الله عنهما فاخذ بركابه
فقال زيد خل عنه يابن عم رسول الله فقال هكذا امرنا
نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل
باهل بيت نبينا ورأى بن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال
ليت هذا عبدى فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر رأسه
ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاحبه وقال الاوزاعى رحمه الله دخلت بنت اسامة بن زيد
رضى الله عنهم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن
عبد العزيز رحمه الله ومعها مولا لها يمسك بيدها فقام عمر
ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه فى ثيابه ومشى بها
حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة
الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابنه عبد الله
رضى الله عنه فى ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد فى ثلثة الاف
وخمسماة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقنى
الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حبى وبلغ معوية ان كابس
بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه
من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه
المرغاب لشبه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال

وحُمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اني اشهد كم اني
ضاربي في حلٍ فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي
صلى الله عليه وسلم فاستحي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي
وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع
منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حلٍ لقرابته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ابوبكر بن عياش رحمه الله لو اتاني ابوبكر
وعمر وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض
احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس رضي الله عنهما
ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له
اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رأيتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم وكان ابوبكر وعمر رضي الله عنهما يزوران
ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية رضي الله عنها
على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وردت على ابي بكر وعمر رضي الله
عنهما فصنعا بها مثل ذلك

فصل ومن توقيره وبره صلى

الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم
وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر
بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة
الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان

يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن
التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا
يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم
وحميد سيرهم رضي الله عنهم ويسكت عن ما وراء ذلك كما قال
عليه الصلاة والسلام اذا ذُكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى
محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر
السورة وقال الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الاية وقال الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ
يبايعونك تحت الشجرة وقال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الحسين وابو الفضل
حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح قال حدثنا سفيان بن
عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن
حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل
الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله
ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه وقال صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي

فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لايقبل الله منه صرفا ولا
عدلا ۝ وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر رضي الله عنه ان الله
اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار
لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي
وفي اصحابي كلهم خير ۝ وقال صلى الله عليه وسلم من احب عمر
فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني ۝ قال مالك بن انس
رضي الله عنه وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء
المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية ۝
وقال رضي الله عنه من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله
تعالى ليغيظ بهم الكفار ۝ وقال عبد الله بن المبارك
رحمه الله خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم ۝ وقال ايوب السختياني رحمه الله من احب
ابا بكر رضي الله عنه فقد اقام الدين ۝ ومن احب عمر فقد اوضح
السبيل ومن احب عثمان فقد استضى بنور الله ومن احب عليا
فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ۝ ومن انتقص احدا منهم فهو
مبتدع مخالف السنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له
عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما ۝ وفي حديث
خالد بن سعيد رضي الله عنه ۝ ان النبي صلى الله عليه وسلم ۝
قال يا ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس
اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة وزبير وسعد
وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ۝ ايها الناس ان الله

غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري
واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة
غدا ۝ وقال رجل للمعافى بن عمران بن عمر بن عبد العزيز من معوية
فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معوية
صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله ۝ واتي النبي صلى الله عليه
وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه
الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من
محسنهم ۝ وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني
فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ولم يحفظني فيهم تخلى الله منه
ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه صلى الله عليه وسلم
من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة ۝ وقال صلى الله
عليه وسلم من حفظني في اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في
اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد ۝ قال مالك رضي
الله عنه هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا
الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو
لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي صلى الله
عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم ۝ وروي عن
كعب رحمه الله ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له
شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة
قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم
يعز اوامره صلى الله عليه وسلم ۝

فصل ومن اعظامه واكباره

اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة

ومعاهد وما مسه عليه السلام او عرف به وروى عن صفية
بنت نجدة رضي الله عنها قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم
رأسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال
لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
وكانت في قلنسوة خالد بن وليد رضي الله عنه شعرات من شعره عليه
الصلاة والسلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها
شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل عليها
فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه
وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين وروى ابن عمر
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها
على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان
يقول استحي من الله ان اطاء تربة فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحافر دابة وروى انه رحمه الله ذهب للشافعي رحمه الله
كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه
بمثل هذا الجواب وقد حكى عبد الرحمن السلمي رحمه الله عن احمد
بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست
القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذ القوس بيده وقد افتى مالك رحمه الله فيمن قال تربة المدينة
ردية يضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال
ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم
يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه الصلاة والسلام
في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا

وحكى

وحكى ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم
من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به
الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول
وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من
النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب
من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ، فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ، لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول عليه السلام انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ، قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ، فظهورهن على الرحال حرام
قربتنا من خير من وطئ الثرى ، فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد
الابق يأتي الى باب مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على رأسي
ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل عليه الرحمة وجدير
لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت
منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله
وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات
ومشاهد الفضايل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات
ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها
ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها

ان نعظم عرصاتها ونتنسم نفحاتها ونقبل ربوعها وجدراتها وللمؤلف رحمه الله

يا دار خير المرسلين ومن به … يدى الانام وخص بالايات
عندى لاجلك لوعة وصبابة … وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد ان ملأت محاجرى … من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبى بينها … من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادى والاعادى زرتها … ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدى من جفيل تحيتى … لقطين تلك الدار والحجرات
ازكى من المسك المفتق نفحة … يغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات … ونوامى التسليم والبركات

الباب الرابع

فى حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبى الاية قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى وملئكته يباركون على النبى وقيل ان الله تعالى يترحم على النبى وملئكته يدعون له قال المبرد واصل الصلاة الترحم فهى من الله تعالى رحمة ومن الملئكة رقة واستدعاء للرحمة من الله سبحانه وقد ورد فى الحديث صفة صلاة الملئكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا على وقال ابو بكر القشيرى رحمه الله الصلوة من الله تعالى لمن دون النبى صلى الله عليه وسلم وللنبى تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية رحمه صلواة الله تعالى ثناء عليه عند الملئكة وصلوات الملئكة الدعاء قال الفقيه القاضى عياض عليه رحمة ربه الفياض وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث تعليم الصلاة عليه

بين

٢٢٦

بين الصلوة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذى امر الله سبحانه عباده فقال القاضى ابو بكر بن بكير رحمه الله نزلت هذه الاية على النبى صلى الله عليه وسلم عنه حضورهم قبره وعند ذكره وفى معنى السلام عليه الصلوة والسلام ثلثة اوجه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثانى ان السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد له كما قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم ان الصلاة

على النبى صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه والحمل والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبرى ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاده على مرة والواجب منه الذى يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب اليه ومرغوب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضى ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا رحمهم الله ان ذلك واجب فى الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتى بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضى ابو بكر بن بكير رحمه الله افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضى ابو محمد بن نصر رحمه الله الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة بالجملة قال القاضى ابو عبد الله

محمد بن ابو سعيد رحمه الله ذهب مالك واصحابه وغيرهم رحمهم الله
من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة
بعقد الايمان لا يتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره
سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي رحمهم الله الفرض
منها الذي امر الله سبحانه به ورسوله عليه الصلاة والسلام هو في
الصلاة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة ○ واما
في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما رحمهم
الله اجماع جميع المتقدمين ○ والمتأخرين من علماء الائمة على ان الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي
في ذلك من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد
الاخير وقبل السلام فصلوته فاسدة وان صلى عليه عليه الصلوة
والسلام قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه
جماعة وشنعوا عليه الخلاف عنها منهم الطبري والقشيري رحمهما
الله وغير واحد وقال ابو بكر المنذر رحمه الله يستحب ان لا يصلي احد
صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك
تارك فصلوته مجزية في مذهب مالك رحمه الله واهل المدينة وسفيان
الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل
العلم رحمهم الله وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير
مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي ○ رحمه الله
فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحق رحمه الله
الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد
رحمه الله عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم

الجزء الرابع عشر ١٤

فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلوة وقال محمد بن
عبد الحكم وغيره رحمهم الله وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
رحمهما الله ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول
الشافعي رحمه الله ○ وحكى ابو يعلى البغدادي ○ المالكي رحمه الله عن
المذهب فيها ثلثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب
وقد خالف الخطابي رحمه الله من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي
في هذه المسئلة وقال الخطابي ليست بواجبة في الصلوة وهو قول
جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها
ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم
عليه وقد شنع الناس بهذه المسئلة جدا وهذا التشهد ابن مسعود
رضي الله عنه الذي اختاره الشافعي رحمه الله وهو الذي علمه له النبي
صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ○
وكذلك كل من روى التشهد على النبي صلى الله عليه وسلم كابي
هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي
موسى الاشعري وعبد الله بن زبير رضي الله تعالى عنهم لم يذكر
وفيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ○ وقد قال ابن عباس
وجابر رضي الله عنهم كان النبي صلى الله عليه وسلم ○ يعلمنا
التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد رضي الله
عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما كان ابو بكر رضي الله عنه يعلمنا
التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على
المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ○ وفي الحديث لا صلوة لمن لا
يصلي علي قال ابن القصار رحمه الله معناه كاملة او لمن لم يصل
علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي

حديث ابي جعفر عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم يقبل منه قال
الدار القطني رحمه الله الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن
الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على اهل بيته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين

فصل في مواطن التي تستحب

فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك
في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا
القاضي ابو علي رحمه الله بقراتي عليه قال حدثنا الامام ابو القاسم
البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي
عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان قال حدثنا عبد الله
بن يزيد المقرئ قال حدثنا حيوة بن شريح قال حدثني ابو هاني
الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد رضي
الله عنه يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد
الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع
بعد ما شاء وروي من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال الصلاة والدعاء معلق بين
السماء والارض لا يصعد الى منه شيء حتى يصل على النبي صلى
الله عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء
محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن

مسعود

مسعود رضي الله عنه انه اذا اراد احدكم ان يسال الله شيأ فليبدأ
بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليسأل حاجته فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان
الراكب يملاء قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شرابه
شربه او الوضوء توضا والا اهراقه ولكن جعلوني في اول الدعاء
واوسطه واخره وقال ابن عطاء رحمه الله للدعاء اركان واجنحة
واسباب واوقات وافق مواقيته فان وافق اسبابه انجح فاركانه
حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه
من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة
على محمد عليه الصلاة والسلام وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون
السماء فاذا جاءت على صعد السماء وفي دعاء ابن عباس رضي الله
عنهما الذي رواه عنه حنش رحمه الله فقال في اخره واستجب دعائي
ثم يبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك
ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين
ومن مواطن الصلوة عليه عليه الصلوة والسلام عند ذكر اسمه او كتابه
او عند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب رحمه الله ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم عند الذبح وكره سحنون رحمه الله الصلوة عليه عليه الصلات
والسلام عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا طريق الاحتساب
وطلب الثواب وقال اصبغ رحمه الله عن ابن القاسم موطنان لا يذكر
فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله سبحانه
محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن

تسميته له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي رحمه
الله عن اوس بن اوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
والامر بالاكثار من الصلوة يوم الجمعة ومن موطن الصلوة والسلام
دخول المسجد قال ابن اسحق بن شعبان رحمه الله وينبغي لمن دخل
المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم
عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل
ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله
تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت
احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته
قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالبيوت هنا المساجد قال
النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله اذا لم يكن
في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة
رحمه الله اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب
رحمه الله اذا دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن
شعبان رحمه الله لما ذكره بحديث فاطمة رضي الله عنها بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم
رحمه الله وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم
والاختلاف في الفاظه ومن موطن الصلوة عليه ايضا الصلاة

على الجنازة

وذكر عن ابي امامة رحمه الله انها من السنة ومن موطن الصلاة التي مضى
عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي وآله في الرسائل وما
يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند بني
هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا
الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة
تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن موطن السلام على النبي
صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة قال حدثنا ابو القاسم خلف
بن ابراهيم المقرى الخطيب وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت
حدثنا ابو الهيثم قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن
اسمعيل قال حدثنا ابو نعيم قال حدثنا الاعمش عن شقيق
بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوة والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء
والارض هذا احد موطن التسليم عليه عليه الصلاة والسلام وسنته
اول التشهد وقد روى مالك رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما
انه كان يقول اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم بمثل ذلك
قبل السلام قال محمد بن سلمة رحمه الله اراد ما جاء عن عائشة
رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند
سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل
العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض
من الملئكة وبني آدم والجن وقال مالك رحمه الله في المجموعة

واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ۞ السلام عليكم ۞

فصل في كيفية الصلوة على النبي

صلى الله عليه وسلم والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر
الفقيه بقراتي عليه قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ قال حدثنا
ابو عبد الله بن عتاب قال حدثنا ابو بكر بن وافد وعزه قال
حدثنا ابو عيسى قال ۞ حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى قال حدثنا مالك
عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال
اخبرني ابو حميد الساعدي رضي الله عنه وعنهم اجمعين انهم قالوا
يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد
وازواجه وذريته كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد ۞ وفي
رواية مالك رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد
كما باركت على آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد ۞ والسلام
كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة رضي الله عنه ۞ اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل
محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمر رضي
الله في حديثه ۞ اللهم صل على محمد نبي الامي وعلى آل محمد
وفي رواية ابي سعيد الخذري رضي الله عنه ۞ اللهم صل على
محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراتي
عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال حدثنا

ابو بكر المطوعي قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي
دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن
المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي
عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعنهم
قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
عدهن في يدي جبريل وقال كما انزلت عند رب العزة اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك
حميد مجيد ۞ اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ۞ اللهم وترحم على محمد
كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ۞ اللهم وتحنن
على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد ۞ اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ۞ وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال
بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل
على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته
كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ۞ وفي رواية
زيد بن خارجة الانصاري رضي الله عنه دبه البادي سألت النبي
صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي فاجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا ۞ اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ۞ وعن سلامه الكندي
رحمه الله كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرايف

صلوتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح
لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ جيشات
الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك
داعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا
لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم وانهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات
الاسلام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في
عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على
بناء البانين بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة
فضل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم
وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب
العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام
المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك
السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
اللهم اجعل صلوتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل

ابراهيم

ابراهيم انك حميد مجيد وكان حسن البصري رحمه الله يقول من اراد
ان يشرب بالكأس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل
على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته
واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين
يا ارحم الراحمين وعن طاوس رحمه الله عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا وآته سؤله في الاخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى وعن وهب
الورد رحمه الله انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل
ما سألك لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك احد من خلقك
واعط محمدا افضل ما انت مسؤل له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه
وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض
عليه وقولوا اللهم اجعل صلوتك ورحمتك وبركاتك على سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام
الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء
على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله صلى الله عليه وسلم كما قد علمتم
هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد
علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه السلام على نبي السلام على

انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى المؤمنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي
وما ولدوا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ۞ السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ۞ جاء في هذ الحديث عن علي
رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران وفي حديث
الصلاة عنه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاديث
المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى
للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي
تختص له ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد رحمه
الله في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل
محمد كما رحمت على ابرهيم وآل ابرهيم ولم يات هذا في حديث صحيح
وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة

على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء له حدثنا محمد بن محمد الشيخ
الصالح من كتابه قال حدثنا القاضي يونس بن معيث قال حدثنا
ابو بكر بن معاوية قال حدثنا النسائي قال حدثنا سويد بن نصر
قال اخبرنا عبد الله بن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة
انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما وعنهم اجمعين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي
فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تبتغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون

انا فهو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس
بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى
علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات
ورفع له عشر درجات وفي رواية كتب له عشر حسنات وعن انس
رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام ان جبريل ناداني فقال
من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات
وفي رواية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عليه الصلوة والسلام
لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت
عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان
وعبد الله بن ابي طلحة رضي الله عنهم وعن زيد بن الحباب سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله
المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود
رضي الله عنه اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ۞ من صلى علي
في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب
وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من صلى علي صلوة صلت عليه الملئكة ما صلى علي فليقلل
من ذلك او ليكثر وعن ابي بن كعب رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال
ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فلم اجعل لك
من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت قال الثلث
قال ما شئت قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك

قال يارسول الله فاجعل صلاتى كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك
وعن ابى طلحة رضى الله عنه دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم
فرأيت من بشره وطلاقته مالم اره قط فسألته فقال وما يمنعنى
وقد خرج جبريل آنفا فاتانى ببشارة من ربى ان الله تعالى بعثنى
اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلى عليك الا صلى الله عليه
وملئكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه
الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة
وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة
وعن سعيد بن ابى وقاص رضى الله عنه من قال حين يسمع
المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن
وهب رحمه الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من سلم على
عشرا فكانما اعتق رقبة وفى بعض الاثار ليردن على اقوام ما اعرفهم
الا بكثرة صلاتهم على وفى اخرى ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها
اكثركم على صلوة وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه الصلوة على
النبى صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار
والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل فى ذم من لم يصلى

على النبى صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضى الشهيد ابو
على رحمه الله حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسن الصيرفى
وقال حدثنا ابو يعلى قال حدثنا السنجى قال حدثنا محمد بن
محبوب قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقى

قال

قال حدثنا ربعى ابن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد
بن ابى سعيد عن ابى هريرة رضى الله عنه وعنهم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصلى على
ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف
ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه
قال واحدهما وفى حديث اخر ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد
المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين
فسأله معاذ رضى الله عنه من ذلك فقال عليه الصلوة والسلام
ان جبريل اتانى فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصلى عليك
فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن
ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه
او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه
عليه الصلوة والسلام انه قال البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل
على وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على اخطى به طريق الجنة وعن
على بن ابى طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على وعن ابى
هريرة رضى الله عنه قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم الذى
كل شئ عالم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا اسم الله
ويصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة
ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه
من نسى الصلوة على نسى طريق الجنة وعن قتاده رحمه الله
عن النبى صلى الله عليه من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصل على

وعن جابر رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام ما جلس قوم
مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي الا تفرقوا عن انتن من ريح
الجيفة وعن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى
ابو عيسى الترمذي رحمه الله عن بعض اهل العلم قال اذا صلى
الرجل على النبي عليه الصلوة والسلام اجزء ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه صلى الله

عليه وسلم بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي
ابو عبد الله التميمي قال حدثنا الحسين بن محمد قال حدثنا ابو
عمر الحافظ قال حدثنا ابن داسة قال حدثنا ابو داود قال حدثنا
ابن عوف قال حدثنا المقرئ قال حدثنا حيوة عن ابي صخر حميد
بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم
علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن
ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي
نائيا بلغته وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان لله ملائكة سياحين
في الارض يبلغوني عن امتي السلام وعن ابي هريرة رضي الله عنه
وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة
وفي رواية فانه لا يصلي علي احد الا عرضت صلوته علي حين يفرغ
عنها وعن الحسن رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم
فصلوا علي فان صلوتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنهما

ليس

ليس لاحد من امة محمد صلى الله عليه وسلم ويسلم عليه ويصلي عليه الا
بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما اذا دخلت
المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي
حيث كنتم فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس رضي الله عنه
اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة علي وعن
سليمان بن سحيم رحمه الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم
فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك تفقه
سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلوة في الليلة
الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل
اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها
الي ويسميه حتى ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلوة

على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام
قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى عامة اهل العلم
متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا تجوز الصلوة على غير النبي
صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا ينبغي الصلوة على احد الا النبيين
وقال سفيان رحمه الله يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط
بعض شيوخي مذهب مالك رحمه الله انه لا يجوز ان يصلى على احد
من الانبياء عليهم السلام سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا

غير معروف من مذهبه رحمه وقد قال مالك رحمه الله في المبسوط
ليحيى ابن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء عليهم السلام وما ينبغي لنا
ان نتعدى ما امرنا به وقال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا
بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج لحديث ابن عمر
رضي الله عنهما وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم
الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله وقد وجدت معلقا عن
ابي عمران الفارسي رحمه الله روى عن ابن عباس رضي الله عنهما
كراهية الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن
تستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق رحمه الله عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله
ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس رضي
الله عنهما لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك
على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال الله تعالى
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية
وقال الله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال
النبي صلى الله عليه وسلم صلوا على آل ابي اوفى كان اذا اتاه قوم
بصدقتهم قال اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي الخبر
وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل آل بيته وقيل امته وقيل الاتباع
وهم الرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله
الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس رضي الله عنه سئل
النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي ويجيء على مذهب
الحسن ان المراد بآل محمد صلى الله عليه وسلم نفسه فانه كان
يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل

صلوتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض
ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله سبحانه هو الصلوة على محمد
نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي مزمارا من
مزامير آل داود يريد من مزامير داود عليه السلام وفي حديث
ابي حميد الساعدي رضي الله عنه في الصلوة اللهم صل على محمد
وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يقول
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
ذكره مالك رحمه الله في الموطاء من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى
ابن وهب رحمه الله عن انس ابن مالك رضي الله كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقولون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي عياض عليه رحمة
ربه الفياض والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك
وسفيان رحمهما الله وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره غير
واحد من المتكلمين والفقهاء رحمهم الله انه لا يصلى على غير الانبياء
عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء عليهم السلام توقيرا لهم
وتعزيزا كما يخص الله سبحانه وتعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس
والتعظيم ولا يشارك فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى
الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام بالصلوة والتسليم
ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله سبحانه بقوله يا ايها الذين
آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم
بالغفران والرضى كما قال الله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان وقد قال الله تعالى والذين اتبعوهم باحسان

رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول
كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة
فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه
فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الآل
والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة لا على
التخصيص قالوا وصلوات النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه
تجري مجرى الدعاء والمواجهة وليس فيها معنى التعظيم والتوقير
قالوا وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم لبعض وهو اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا رحمهم الله

فصل في حكم زيارة قبره

صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه من المسلمين
وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن
المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وروى عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت
له شفاعتي وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي
فكان زارني حياتي وكره مالك رحمه الله ان يقال زرنا قبر
النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة
للاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها وقوله صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد اطلق اسم

الزيارة وقيل ذلك لما قيل ان للزائر فضلا على المزور وهذا ايضا
ليس بشي اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث
اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى والاولى
عندي ان منعه وكراهة مالك رحمه الله لاضافته الى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا
اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما
للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل
من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره
وقبره ومجلسه وملامس يديه وموطئ قدميه والعمود الذي كان
يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة
وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك
سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه
ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد
بن ابي سعيد المهري رحمه الله قدمت على عمر بن عبد العزيز رحمه الله
فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام قال غيره رحمه الله وكان
يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت انس بن مالك
رضي الله عنه اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه
حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم

ثم انصرف قال مالك رحمه الله فى رواية ابن وهب اذا سلم على النبى
صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة و
يدنوا ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال فى المبسوط لا ارى ان
يقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويدعوا ولكن يسلم ويمضى
قال ابن ابى مليكة رحمه الله من احب ان يقوم وجاه النبى صلى
الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه
وقال نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما يسلم على القبر رأيته مائة
مرة واكثر يجىء الى القبر فيقول السلام على النبى صلى الله عليه
وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى ثم ينصرف وفى الموطاء
من رواية يحيى بن يحيا الليثى رحمه الله انه كان يقف على قبر النبى صلى
الله عليه وسلم فيصلى على النبى وعلى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وعند
ابن القاسم والقعنبى رحمهما الله ويدعوا لابى بكر وعمر رضى الله عنهما
قال مالك رحمه الله فى رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك
ايها النبى ورحمة الله وبركاته وقال فى المبسوط ويسلم على ابى بكر
وعمر قال القاضى ابو الوليد الباجى وعندى انه يدعو للنبى صلى
الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابى بكر وعمر كما فى حديث ابن عمر
رضى الله عنهما من الخلاف وقال ابن حبيب رحمه الله ويقول
اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملئكته على محمد اللهم اغفر
ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وجنتك واحفظنى من الشيطان
الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها
ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسئله تمام
ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك فى غير الروضة

اجزائك


الجزء الخامس عشر
١٥

اجزائك وفى الروضة افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتى
ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على ترعة من ترع الجنة ثم تقف
بالقبر متواضعا متوقرا فيصلى عليه وتثنى ما يحضرك وتسلم على ابى بكر وعمر
رضى الله عنهما وتدعو لهما واكثر من الصلوة فى مسجد النبى صلى الله
عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتى مسجد قباء وقبور الشهداء
قال مالك فى كتاب محمد ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم اذا
دخل وخرج يعنى فى المدينة وفيما بين ذلك قال محمد رحمه الله واذا
خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى
ابن وهب رحمه الله عن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهما
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبى
صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك
واذا خرجت فصل على النبى صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لى
ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك وفى رواية اخرى فليسلم مكان فليصل
فيه ويقول اذا خرج اللهم انى اسئلك من فضلك وفى اخرى
اللهم احفظنى من الشيطان وعن محمد بن سيرين رحمه الله كان
الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملئكته على محمد السلام
عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله
خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن
فاطمة ايضا كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا
وفى رواية حمد الله وسمى وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر
مثله وفى رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم

افتح لي ابواب رحمتك وبسر لي ابواب رزقك ۝ وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي ۝ وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فليصل عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة واكثر وربما فعلوه في الجمعة او في الايام المرة والمرتين واكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها ودخلوها اتوا القبر فسلموا قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم ۝ وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا ۝ وفي العتبية يبدء بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ۝ واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة

فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت

فصل فيما يلزم من دخل مسجد

النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وسكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه ۝ روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك ابن انس وغيرهم رضي الله عنهم ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه مسجد قباء ۝ حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود نا مسدد حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ۝ ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره ۝ قال

القاضى حكى ذلك كله القاضى اسمعيل فى مبسوطه فى باب فضل مسجد
النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء متفقون ان حكم سائر المساجد
هذا الحكم وقال القاضى اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره فى مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم
صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت فذكره رفع الصوت
فى التلبية فى مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال
ابو هريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام صلوة فى مسجدى
هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضى
اختلف الناس فى معنى هذا الاستثناء على اختلافهم فى المفاضلة
بين مكة والمدينة فذهب مالك فى رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع
صاحبه وجماعة اصحابه الى معنى الحديث ان الصلوة فى مسجد الرسول
افضل من الصلاة فى سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام
فان الصلوة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم افضل من الصلات
فيه بدون الالف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مأة صلاة فيما سواه فيأتى
فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بتسعمأة وعلى غيره
بالف وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو
قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة
والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب
من اصحاب مالك وحكاه الساجى عن الشافعى وحملوا الاستثناء فى
الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة فى المسجد الحرام افضل واحتجوا
بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل حديث
ابى هريرة وفيه وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الصلوة فى مسجدى

هذا بمأة صلاة وروى قتادة مثله فيأتى فضل الصلاة فى المسجد
الحرام على هذا على الصلوة فى سائر المساجد بمأة الف ولا اختلاف ان
موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضى ابو الوليد الباجى
الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه
حكمها مع المدينة وذهب الطحاوى الى ان التفضيل انما هو فى صلات
الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك فى النافلة ايضا قال
جمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق
فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام
ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومثله عن ابى هريرة
وسعيد وزاد ومنبرى على حوضى وفى حديث اخر منبرى على ترعة
من ترع الجنة قال الطبرى فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت
سكناه على الظاهر مع روى انه روى ما بينه بين حجرتى ومنبرى
والثانى ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم فى هذا الحديث
كما روى ما بين قبرى ومنبرى قال الطبرى واذا قبره فى بيته اتفقت
معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره فى حجرته وهو بيته
وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه منبره بعينه الذى كان فى الدنيا
وهو اظهر والثانى ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد
منبره والحضور عنده الملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض
ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض الجنة
يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه
يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثانى
ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى
وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبى صلى الله عليه وسلم

قال في المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او
شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو
كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال
لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي
عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله
يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث من الامنين
يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني
اشفع لمن بها وقال الله تعالى اول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل
كان يأمن من الطلب من احدث حدثا والتجا اليه في الجاهلية وهذا
مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم
وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة
قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن
فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة
ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله
شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي
الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود
الا استجاب الله له وكذلك عند الركن وعنه عليه السلام من صلى
خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة
من الامنين قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثك ابو
العباس العذري قال حدثنا ابو اسامة محمد ابن احمد بن محمد
الهروي حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن

بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت
سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت بن عباس
رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعا احد
بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس رضي الله عنه
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي
قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا
استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي
قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق
الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة
قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت
الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله
ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه
النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي
قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي

صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال

البشرية او بيناف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افاين مات او قتل انقلبتم الاية وقال الله تعالى ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام وقال الله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال الله تعالى قل انما بشر
مثلكم يوحى الى الاية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر
ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول
عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
اى لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون
مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال الله تعالى
قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا اى لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو
من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفيه وقواه على مقاومته كالانبياء
والرسل فالانبياء والرسل وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم
اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره
وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارى عليها ما يطرء على البشر
من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية و
ارواحهم وبواطنهم متصفة باعلا من اوصاف البشر متعلقة بالملأ
الاعلى متشبهة بصفات الملئكة سليمة من التغير والافات لا يلحقها
غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة
البشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملئكة ورؤيتهم ومخاطبتهم
ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسادهم

وظواهرهم

وظواهرهم متسمة بنعوت الملئكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر
ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا
من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن
مع الملئكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من امتى خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن
وكما قال تنام عيناى ولا ينام قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى
اظل يطعمنى ربى ويسقين فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة
من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن تكتفى بمضمونها كل
همز بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتى به بعد هذا
في البابين بعون الله وهو حسبى ونعم الوكيل

الباب الاول فيما يختص بالامور

الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم
قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه اعلم ان الطوارى من
التغيرات والافات على احاد البشر لا يخلو ان تطرء على جسمه او على
حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرء بقصد واختيار
وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة
انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر
تطرء عليهم الافات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه
الوجوه كلها والنبى صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز
على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة
وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات
التى تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء
الله تعالى فيما يأتى من التفاصيل

فصل في حمل عقد قلب النبي

صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته ۞ اعلم منحنا الله واياك توفيقه
ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به
وبما اوحى اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء
عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الترتيب فيه والعصمة من كل
ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه
ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا
يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام بلى ولكن ليطمئن قلبي
اذ لم يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد
طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول
بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته ۞ الوجه الثاني
ان ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته
دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اي تصدق
بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك ۞ الوجه الثالث انه سال
زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية
والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات
ممتنع ويجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة
والترقي من علم اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل ابن عبد
الله سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في
حاله ۞ الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت
طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه ۞ الوجه الخامس قول بعضهم
هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى
وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية ۞ الوجه السادس انه اري

من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا عليه
السلام نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم
شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن
موقنون بالبعث واحياء الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك
منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم
الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم
على اختبار حاله او زيادة يقينه ۞ فان قلت فما معنى قوله
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره
فيه بعض المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنه او غيره من اثبات
شك للنبي صلى الله عليه وسلم ۞ فيما اوحي اليه وانه من البشر
فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي
ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن رضي الله عنهما ۞ وحكى قتادة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الاية وقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت
في شك الاية وقالوا في السورة نفسها ما دل على هذا التاويل
قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في شك في ديني الاية وقيل المراد بالخطاب
العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ۞ ومثله فلا تك
في مرية مما يعبد هولاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه
يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام
كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل
على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن فسئل به خبيرا

المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي والنبي صلى
الله عليه وسلم ۞ هو المخبر المسؤل لا المستخبر السائل وقال ان هذا
الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن
الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد و
الشريعة ۞ ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه
وسلم قاله القتيبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف
الخافض وتم الكلام ثم ابتداء اجعلنا من دون الرحمن الهة تعبدون
على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه
وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من
ان يحتاج الى السؤال ۞ وروي انه قال لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد
وقيل اسئل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى مجاهد
والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه
بما بعث به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي
العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك
قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك
وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل
ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين ۞
بدليل قوله اول الاية أفغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي
صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقدير كقوله
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقد علم الله
انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمانينة وعلما ۞

الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به
واسئلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضايلك ۞ وحكي عن ابي
عبيد ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما
معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة
التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالت عايشة معاذ الله ان تظن
ذلك الرسل وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا ظنوا ان
من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين
وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل
وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا
المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير
بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء ۞ وكذلك ما ورد في حديث
السيرة ومبتداء الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي
ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله
خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي لينخلع قلبه
وتزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قال بعد لقائه الملك
او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول
ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر وبداته المنامات
والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا
في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا
يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا تحتمله لاول حالة بنية
البشرية ۞ وفي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها اول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم
حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث

وعن ابن عباس قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة
سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني
وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عايشة
في غطه واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني
وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر
او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق
من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلها فبينا انا عامد لذلك
اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا
جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث
فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان
قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة
واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن
شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي
سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد
بن سلمة ان النبي صلى الله وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا
وارى ضوءا وخشي ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو
صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون
والفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وانه كان
كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله انه رسوله
فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام
الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك

فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه
القرآن فلما نزل عليه اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة
اوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة رضي
الله عنها واختبارها امر جبريل بكشف رأسها الحديث انما ذلك
في حق خديجة لتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان الذي يأتيه ملك وبزوال الشك عنها لانها فعلت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في
حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن
عايشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث
اسمعيل بن حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما
جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره
وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت
وابشر وآمنت به فهذا يدل انها مستثبتة لما فعلته لنفسها
ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر
في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا
غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال لا يقدح في هذا
الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا
من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل
هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان
اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه
كما قال الله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذ

الحديث آسفا وبصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك
عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين
لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل
في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها
المدثر اوخاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك
فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له
لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر
عليه معناه ان يضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق
عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه
العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد
وقيل نواخذه بغضبه وذهابه ◉ وقال ابن زيد معناه افظن
ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل
صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا لقومه
لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة
الله معاداة الله كفر لا تليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل
مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر
وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله
به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم
عليه فخرج لذلك مغاضبا ◉ وقد روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت
واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا

عليه شجرة من يقطين وارسلناه ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب
الحوت ◉ وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه السلام
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم
اكثر من سبعين مرة ◉ فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين
وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى
القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق
الغيم عليها ◉ وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه
كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث ◉ انه يغان على قلبه مائة مرة او
اكثر من سبعين مرة في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه
وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد
بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن
مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع
اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة
الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل
وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن
لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم
درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته
وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه
رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي
حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى
وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه فيه مال كثير

من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات
والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي ۞ وذهبت طائفة من
ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهوا او فترة
الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه
السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم
قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى
فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهارا
للعبودية والافتقار ۞ وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا
تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر
ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية و
اعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته
كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه
الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه
ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله ۞ فان
قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام فلا تسألني ما ليس لك
به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين ۞ فاعلم انه لا يلتفت في ذلك
الى قول من قال في اية نبينا عليه الصلاة والسلام لا يكونن ممن
يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح لا تكونن
ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات
الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود
وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك

ان تكون

ان تكون وليس في اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي
نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس
لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج
الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله
عن ما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك
ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح ۞ حكى معناه مكي لذلك امر نبينا عليه السلام
في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ۞ ولا يحرج عند ذلك
فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك
وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا من الجاهلين ۞ حكاه
ابو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب
القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذ قررت
عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا
وعيد الله لنبينا عليه الصلوة على ذلك ان فعله وتحذيره منه
لقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله تعالى ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية
وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله الاية وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك
وقوله ۞ فان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين ۞ فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه الصلوة
والسلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه
ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان

في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا ليشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله ان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك فما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين

فصل واما عصمتهم من هذا

الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا او نشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت

نبينا



نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولو كان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيه عن تركهم وما كان يعبد آباؤهم ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الاية وبقوله اذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال وطهره الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه فكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشبه عليك بقول ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك

ولا اشرك قط بالله طرفة عين قوله الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله اذ جاء ربه بقلب سليم اى من
الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن
لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني
بمعونته اكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر
والا هو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال
بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله
منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون
الى ما كانوا من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له
ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل
ذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد ابوالا وما كان قبل كذلك
فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال
الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل
ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى
ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اى لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان عليه
السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله
الى الاسلام حكى معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك
اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال
ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى
اى بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة

فهداك الى المدينة وقيل المعنى ووجدك وهداك ضالا وعن جعفر
بن محمد رحمه الله ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اى لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى
اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال الله تعالى انك لفي ضلالك القديم اى
محبتك القديمة ولم يريدوا بها هنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي
الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اى محبة
بينة وقال الجنيد رحمه الله ووجدك متحيرا في بيان ما انزل
اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل ووجدك
لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم
احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة
موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من
المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري
رحمه الله معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك
ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما فان
قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي
ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي
نحوه قال ولا الايمان واراد الايمان الذي هو الفرايض والاحكام
قال وكان قبل مؤمنا بتوحيد الله ثم نزلت الفرايض التي لم يكن
يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت
ما معنى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى
قوله والذين هم عن اياتنا غافلون حكى ابو عبد الهروي ان معناه

لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث
الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع
ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال
الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام ولم يشهدهم بعد
فهذا حديث انكره احمد بن حنبل رحمه الله جدا وقال هذا موضوع
او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده
والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف
عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت
الي الاصنام ومنه في الحديث الاخر الذي رواه ام ايمن حين كلمه عمه
واهله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك
فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي
شخص ابيض طويل يصيح لي وراءك لا تمسه فما شهد بعد هم عيدا
وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات
والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي
ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم لا تسئلني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال
له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عن ما اسئلك عنه فقال سل عن ما
بدالك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه
كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان
يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام

فصل قال القاضي ابو الفضل

رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان

والوحي

والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود
قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت
من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع
الاخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه
في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع اول قسم من هذا
الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف
تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا تشترط في حق الانبياء عليهم
السلام العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على
خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة
وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف
غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة
هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله ولكنه لا يقال
انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله
وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم
وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم
العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب
معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة وأما ان كان هذا
العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا
العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل ذلك عن
وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل
بل عنده حصل له العلم باليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل
عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول
المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة رضي الله عنها انما اقضي بينكم

يأتي فيما لم ينزل عليه فيه حرج الثقات كقصة اسرى بدر والاذن
للمتخلفين على راى بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقد مما يثمره اجتهاده
الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذى لا يلتفت الى خلاف من خالف
فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذى هو الحق والصواب عندنا
ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله
عليه وسلم من الخطا فى الاجتهاد فى الشرعيات ولان القول فى تخطية
المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم
واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شىء ولم يشرع له قبل هذا
فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه
من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله
شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحى من الله او اذن
ان يشرع فى ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحى
فى كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء
الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشىء من تفاصيل الشرع الذى
امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق
بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه
الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء
والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لا يعلمه الا بوحى فعلى ما تقدم
من انه معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه
على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان
عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر كقوله انى لا اعلم الا ما علمنى
ربى ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة

أعين

اعين وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمنى مما
علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسئلك باسمائك الحسنى
ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسئلك بكل اسم سميت به نفسك
او استأثرت به فى علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل
ذى علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله وهذا
ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم
عقد النبي صلى الله عليه وسلم فى التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية

فصل واعلم ان الامة مجتمعة

على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا فى
جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضى
الحافظ ابو على رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل ابن خيرون العدل
حدثنا ابو بكر البرقانى وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطنى حدثنا
اسماعيل الصفار حدثنا عباس الترقفى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
سفيان عن منصور عن سالم بن ابى الجعد عن مسروق عن عبد الله بن
مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملئكة قالوا
واياك يا رسول الله قال واياى ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم
زاد غيره عن منصور فلا يأمرنى الا بخير وعن عائشة رضى الله عنها
بمعناه وروى فاسلم بضم الميم اى فاسلم انا منه وصحح بعضهم
هذه الرواية ورجحها وروى فاسلم يعنى القرين انه انتقل عن حال
كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث
ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضى ابو الفضل رضى الله فاذا كان
حكم شيطانه وقرينه المسلط على بنى ادم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم

صحبة ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له
في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه
اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه
النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة رضي الله عنه
عنه عليه الصلاة والسلام ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق رحمه
الله في صورة هر فشد علي يقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فذعته
ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول
اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله خاسئا
وفي حديث ابي الدرداء رضي الله عنه عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس
جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم
في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه
وقال لاصبح موثقا يلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه
في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره
في الموطأ ولما لم يقدر على اذاه بمباشرة تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته
مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة
الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن
مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم ومرة
ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه
ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي
من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب
وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان تكون بك
ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على
فان قيل فما معنى قوله تعالى فاما ينزغنك من الشيطان

نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله
واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب
يحملك على ترك الاعراض فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال مِن بعدِ انْ نزغَ الشيطانُ بيني وبينَ إخوتي وقيل
ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله
تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به
وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه
فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض
له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك
لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول
الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك
النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة
اما بعلم ضروري يخلقه الله له وببرهان يظهره لديه لتتم كلمة
ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الاية فاعلم ان للناس في هذه الاية اقاويل منها السهل
والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور
من المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقاء الشيطان فيها
اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل عند ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه
ويحكم اياته وسياتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا ان شاء
الله تعالى وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط

الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد
ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد
الذى ولد له وقال ابو محمد مكى فى قصة ايوب عليه السلام وقوله
انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان
الشيطان هو الذى امرضه والقى الضر فى بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل
الله بامره ليبتليهم ويثبتهم قال مكى وقد قيل ان الذى اصابه
الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى
عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلاة
يوم الوادى ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام فى
وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد فى جميع
هذا على مورد مستمر كلام العرب فى وصفهم كل قبيح من شخص او فعل
بالشيطان او فعله كما قال الله تعالى كانه رؤس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا
فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له فى ذلك
الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتيه
والمروى انه انما نبئ بعد موت موسى عليه السلام وقيل قبيل موته
وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكر
انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون فى قوله فانسيه الشيطان
قولين احدهما ان الذى انسيه ان يذكر الملك شان يوسف عليه
السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على
يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما
من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد به

شيطان

شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل
يهديه كما يهدأ الصبى حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان فى ذلك
الوادى انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله
ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان
جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى وعلة لترك الصلاة به وهو
دليل مساق حديث زيد بن اسلم رحمه الله فلا اعتراض به فى هذا
الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل واما اقواله عليه السلام

فقامت الدلالة الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما
كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شىء منها بخلاف
ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف فى
ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال
اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط فى ذلك
فبهذه السبيل عند الاستاذ ابى اسحق الاسفراينى ومن قال بقوله ومن
جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبى صلى الله
عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضى ابى بكر الباقلانى
رحمه الله ومن وافقه لاختلاف بينهم فى مقتضى دليل المعجزة
لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه
اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة
والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد
ولا على غير عمد ولا فى حال الرضى والسخط والصحة والمرض
وفى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقلت يا رسول الله

اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني
لا اقول في ذلك كله الا حقا والزم ما اشرنا اليه من دليل المعجزة
على صدقه صلى الله عليه وسلم بيانا فنقول اذا قامت المعجزة قائمة
مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله
اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق
من ربكم وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلا يصح
ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو
جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق الباطل
فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قال ابو اسحق

فصل وقد توجهت ههنا

لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما قرأ سورة النجم وقال افرأيتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتها لترتجى وانها
لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى
فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه
اثنى على الهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها
على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل
عليه شيء تقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل
عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض
عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال ما جئتك بهاتين فحزن
لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما

ارسلنا

ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك
الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث
مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما
المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل
الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله
المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف
كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلا المالكي حيث
قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق
بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده
واختلاف كلماته فقايل يقول انه في الصلاة واخر يقول قالها
في نادي قومه حين انزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد
اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه فسها واخر يقول
ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك واخر يقول بل
اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي
ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف
الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين
لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم قال فيما
احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة
وذكر القصة قال ابو بكر بن البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا

ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن
جبير رضي الله عنه ۞ وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن
عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه
كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه ۞ واما حديث
الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار
اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل ۞ فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة
واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه
الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله
وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل
فيه ما ليس فيه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القرآن
ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه
صلى الله عليه وسلم او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك
كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع
عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه ولسانه لا عمدا ولا سهوا
او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقيه الشيطان او يكون
للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل
عليه وقد قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية وجه ثان ۞ وهو استحالة
هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي
لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل

التأليف

التأليف والنظر ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته
من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى
على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة
فصيح الكلام علمه ۞ وجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين
ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم ۞
لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك
احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان
ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود
عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسرى حتى كانت في ذلك
لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة
اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه
الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها
بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض
شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به
على ضعفاء المسلمين ۞ وجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت
وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان ترد الخبر الذي
رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان
ثبته الله لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان
يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون
في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال
عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية

وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الاية
الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان
يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون
قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهبها
واكاد اخفيها ولم يفعل وقال القشيري القاضي رحمه الله ولقد
طالبه قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعده
الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري
ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ركن وقد ذكرت في معنى
الاية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله صلى الله
عليه وسلم يرد سفسافها فلم يبق في الاية الا ان الله تعالى امتن
على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته
ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو
مفهوم الاية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد
اجاب على ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها
ما روى قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته
سنة عند قراءة هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم
النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله
في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان
عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو
وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه
فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر

بن عبد الرحمن

عبد الرحمن رحمه الله قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك الشيطان
وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله
الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله
اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه
السلام هذا ربي على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا
بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن
مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد
ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة
فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله
عنه وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما
رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي
صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ
السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى
الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى
بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما
القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين ويكون ما روي من حزن النبي
صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد
قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى
تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته

وقيل هو معنى الاية هو ما يقع للنبى صلى الله عليه وسلم من السهو
اذا قرأ فينتبه لذلك و يرجع عنه وهذا نحو قول الكلبى فى الاية انه
حدث نفسه ۝ وقال اذا تمنى اى حدث نفسه وفى رواية ابى بكر
بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو فى القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير
المعانى وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط
آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به
للحين على ما سنذكره فى حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما
يظهر فى تأويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى
فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى
وان شفاعتهم لترتجى الملئكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبى الغرانقة
انها الملئكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملئكة
بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم فى هذه السورة بقوله الكم
الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملئكة
صحيح ۝ فلما تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس
ولبس عليهم الشيطان ۝ ولحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين
اللتين وجد الشيطان بهما للتلبيس سبيلا كما نسخ كثيرا من القرآن
ورفعت تلاوته وكان فى انزال الله تعالى لذلك حكمة ليضل به من
يشاء ويهدى من يشاء ۝ وما يضل به الا الفاسقين ۝ وليجعل ما
يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
وان الظالمين لفى شقاق بعيد ۝ وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق
من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وقيل ان النبى صلى الله
عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتى بشئ من ذمها فسبقوا

الى مدحها

الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا فى تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم
ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون ۝ ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم
عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبى صلى الله عليه وسلم
قال له حزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى
بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل
وحفظ القرآن واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى
من قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روى من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف
عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا
فاعلم اكرمك الله ان ليس فى خبر من الاخبار الواردة فى هذا الباب
ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم
بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال
لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال
ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس
لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى الاية وروى فى الاخبار انهم
رأوا دلايل العذاب ومخايلة قاله ابن مسعود وقال سعد بن جبير
رضى الله عنهما غشاهم العذاب كما يغشى السحاب القمر فان قلت
فما معنى ما روى من عبد الله ابن ابى سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش ۝ فقال لهم انى
كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملى على عزيز حكيم ۝ فاقول
او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفى حديث آخر فيقول له النبى
صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف

شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول
له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا
كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان
يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك
على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان
مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن
ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر
افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب
لسليم العقل يشتغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو
كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين
ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون
وما وقع من ذكرها في حديث انس رضي الله عنه وظاهر حكاياتها
فليس ما يدل انه شاهده ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار
حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد
عن انس قال واظن حميدا انه سمعه من ثابت قال القاضي
رضي الله عنه ولهذا لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد
والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة
وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته
عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم
للنبي صلى الله وسلم فيما اوحى اليه ولا جواز للنسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله
اذ ليس فيه ولو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه

فقال له

الجزء السابع عشر
١٧



فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه
لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان
ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة
الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك
للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتداء الكلام الحسن
الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا
سورة وكذلك قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا
فيما كان فيه من مقاطع الاي وجهان وقرئتان انزلتا جميعا على النبي
صلى الله عليه وسلم فاملى احدهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته
بمقتضى الكلام للاخرى قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها كما
قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك
ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الاي
مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرء جماعة فانك انت
الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جائت على
وجهين في غير المقاطع قرأ بهما جميعا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل
وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقص الحق وكل هذا
لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما
وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه
وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف

فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ

واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى
الاحكام ولا اخبار المعاد ولا يضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال

واحواله نفسه والذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده
ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه
وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق
جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء
وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات
عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي
الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين اجلاهم من خيبر باقرار
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله
عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت
هزيلة من ابي القاسم فقال عمر رضي الله عنه كذبت يا عدو الله
وايضا وان اخباره واثاره وسيره وشمايله معتنى بها مستقصى
تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول
قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل
من قصته عليه السلام ورجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح
النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا
الباب كقوله عليه السلام والله لا احلف على يمين فارى
خيرا منه الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله
انكم تختصمون الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء
الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده
ان شاء الله مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد
في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره

وانهم

١٦١

انهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك
المحدثون والعلماء الحديث عن من عرف بالوهم والغفلة وسوء
الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا وان تعمد الكذب في امور الدنيا
معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل هذا مما ينزه
عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل
بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغاير فهل تجري على حكمها في الخلاف
فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه
وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك
ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على
الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد
ولا نتسامح مع من سامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس
طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام
به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم
وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر
النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم
عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف
واتفق اهل النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل
وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب
ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه

فصل فان قلت فما معنى قوله

صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو

اسحق ابراهيم بن جعفر قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل
قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله ابن الفخار حدثنا
ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن
الحصين عن ابي سفيان مولى بن ابي احمد انه قال سمعت ابي هريرة
يقول صلى رسول الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية
الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين
وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض
ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك
اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف
وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس
طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض
بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان
في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد بصورة النسيان ليسن
فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في
الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره
ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده
وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما
النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس
في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق

ايضا

ايضا وجه ثان ان قوله صلى الله عليه وسلم ولم انس راجع الى السلام
اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب
اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي
لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الاخرى الصحيحة وقوله ما قصرت الصلاة وما نسيت
هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على
بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه والذي اقول ويظهر الي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله
لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئس
ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في
بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال
له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى
سال غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على
هذا لم انس ولم تقصر او كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر
ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استثرته من كلام بعض
المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو
ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان
غفلة وافة والسهو انما هو شغل فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات
الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق
على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول

و وجه اخر وهو ان قوله ما قصرت الصلوة ولا نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجه النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلوة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله عليه الصلوة والسلام في الحديث الاخر الصحيح اني لا نسى او انسى لاسن واما قصة كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم و بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعارض التي فيها مندوحة عن الكذب فاما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر على من الموت وقيل بل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثنى نظره في ذلك وقيل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله

على طريق

على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث قال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب الا ثلث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام من مؤاخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لانه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه بل قال عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انباء الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة

وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما يعلم احد
الا باعلام الله من علوم غيبه في القصص المذكورة في خبرهما فكان
موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل
عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما ۞ وعتب الله ذلك عليه فيما
قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت
الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله
اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته
من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك
من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذايل
الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك نيلها الا من عصمه الله
فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام
تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر ۞ وهذا
الحديث احدى حجج القايلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من
موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي ۞ واما الانبياء عليهم السلام
فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه
بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي
آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا كان في زمن موسى نبي غيره
الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا
يعول عليه واذ جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على
الخصوص ۞ وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر
ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى عليه الصلاة والسلام
اعلم من الخضر عليه السلام فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع
اليه من موسى وقال آخر انما الجئ موسى الى الخضر للتأديب لا للتعليم

فصل

فصل واما ما يتعلق بالجوارح

من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر
الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد ۞ وما
قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء
من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع
الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل
مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك
لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ
لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة
واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو
مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا
العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين
وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير
وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس رضي الله عنهما
وغيره ان كل ما عصي به الله فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير
بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب
كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال
ان في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها
شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي
ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء ۞ وقال بعض

ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار
الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت
الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازراء والخساسة فهذا
ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب
المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون
عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه
بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم
من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم
من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم
مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي
وابو حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا
في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك
التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر
اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري
وابن خيران من الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة
الى الاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يكن
الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده
به من القربة والاباحة او الحظر والمعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال
امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول
اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز
الصغاير ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على انه
لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت عنه صلى
الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم

يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ يجب عصمتهم من مواقعة
المكروه كما قيل واذا الحظر والندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر
والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا
بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن
كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم
حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته
مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه
العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعله وقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت
عائشة رضي الله عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال
يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم
بحدوده والاثار في هذا اكثر من ان نحيط بها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداءهم بها ولو جوزوا عليه
المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر
بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره
بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس
فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة
عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم
من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الاخرة
لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك
طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا

في حق ... نبينا صلى الله عليه وسلم فبا زلت عظيم فضل
الله على نبينا وعلى سائر الانبياء عليهم السلام بان جعل
افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم

من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح
ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب
الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي
انما يكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه
السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال
جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا
القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية
انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين
بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فوق الامة
القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق
السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة
اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل
تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت
طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا
من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة
غير سديدة واسناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر
اولى واظهر ۞ وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه
السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين
منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب

ابي المعالي

ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم
اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم
وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن
كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى
صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين
اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة
لهم في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها
اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم تكن لنبي دعوة
عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ۞ ولا حجة ايضا للاخر في قوله
تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ۞ وللاخرين في قوله شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا ۞ فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد
كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى تعالى
فيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن
يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى
جماعة منهم في هذه الاية وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها
فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى
وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر
الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم ۞ او يخالفون بينهم ۞ اما
من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما
من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال
بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله
يلتزمه بمساق حجته في كل نبي ۞

فصل هذا حكم ما يكون

المخالفة فيه من الاعمال عن قصد فهو ما يسمّى بعد بعد معصية
و يدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمّد كالسهو
والنسيان في الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق
الخطاب به وترك المؤاخذة عليه واحوال الانبياء عليهم صلوات
الله في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سوء
ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا
مما يختص بنفسه ❁ اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم
السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرد
المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة
التبليغ والاداء وطرد هذه العوارض عليها يوجب التشكيك
وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها
بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء ❁ و
المتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية
سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة
وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق
في القول ومخالفة ذلك يناقضها ❁ واما السهو في الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات
القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه

عليه السلام

عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
اني لا انسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى
لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة
عن سمات النقص واعراض الطعن فان القايلين بتجويز ذلك
يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه
ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل
انقراضهم على قول الاخرين ❁ واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان
الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به امور دينه واذكار
قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة
على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة
ومعانات الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار
ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان
على قلبي فاستغفر والله وليس في هذا شيء يحط من رتبته
ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات
والفترات في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة
واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى ❁

فصل في الكلام على الاحاديث

المذكور فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا في الفصول
قبل هذا ما يجوز فيه عليه السلام ❁ وما يمتنع واحلناه في الاخبار
جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن

بسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه عليه
السلام فى الصلاة ثلثة احاديث اولها حديث ذى اليدين
فى السلام من اثنتين الثانى حديث ابن بحينة فى القيام من اثنتين
الثالث حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم
صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو فى الفعل
الذى قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى
منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه ان لا يقر على هذا
السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه
كما قدمناه وان النسيان والسهو فى الفعل فى حقه عليه السلام
غير مضادة للمعجزة ولا قادح فى التصديق وقد قال عليه السلام
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وقال
صلى الله عليه وسلم يرحم الله فلانا لقد اذكرنى كذا وكذا اية كنت
اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام انى لا انسى
او انسى لاسن وقيل هذا اللفظ شك من الراوى وقد روى
انى لا انسى ولكنى انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار
انه ليس بشك وان معناه التقسيم اى انسا انا او ينسينى الله قال
القاضى ابو الوليد الباجى يحتمل ما قالاه ان يريد انى انسى فى اليقظة
وانسى فى النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول
عن الشئ والسهو او انسى مع اقبالى عليه وتفرغى له فاضاف
احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب
المعانى والكلام على الحديث الى ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان سهوا فى الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة

قال

قال والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان
عليه السلام يسهو فى صلاته ويشغله عن حركات الصلوة ما فى الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله فى الرواية الاخرى انى
لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه
عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه
متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا
فى حال ولا حجة لهم فى قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان
ليسن لقوله انى لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى
مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون
وقد مال الى عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائنى
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين
فى قوله انى لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفى حكم النسيان
بالجملة وانما فيه نفى لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان
يقول نسيت اية كذا ولكنه نسى او نفى الغفلة وقلة الاهتمام
بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسى بعضها ببعضها كما
ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من
العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذى ترك يوم الخندق
اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء به احتج من ذهب
الى جواز تاخير الصلاة فى الخوف اذا لم يمكن من ادائها الى وقت
الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول فى نومه صلى
الله عليه وسلم عن الصلاة يوم الوادى وقال ان عينى تنامان
ولا ينام قلبى فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد

بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينه في غالب الاوقات وقد يندر منه
غير ذلك ۞ ويصحح هذا التأويل قوله عليه السلام في الحديث
نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت على نومة
مثلها ولكن مثل هذا انما يكون لامر يريده من اثبات الله حكم
وتأسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء
الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم ۞ الثاني ان قلبه
لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحديث فيه لما روي انه كان محروسا
وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضاء
وحديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور فيه وضوءه عند قيامه
من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد
النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر
الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلات
فصلى ولم يتوضاء ۞ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه
في النوم وليس قصة الوادي الا نوم عينيه عن روية الشمس
وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض
ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا ۞ فان قيل فلولا عادته
من استغراق النوم لما قال لبلال رضي الله عنه اكلاء لنا الصبح فقيل
في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح
الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل
بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام
عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت

انسيتها

انسيتها ۞ فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ ۞ اما
نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه
من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله
اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة
من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا
منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل
الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه
عليه السلام لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر
ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه
الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد
يجوز ان ينسى النبي ۞ صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة
ويجوز ان تنسيه منه مرة قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط
حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام
نسيانه له بحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه ۞

فصل في الرد على من اجاز

عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا به في ذلك ۞ اعلم ان
المجوزين للصغاير على الانبياء عليهم السلام من الفقهاء
والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على
ذلك بظواهر كثيرة من القران ۞ والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم
فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت
الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف

فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء
الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه
الاعمى الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله ۝ وعصى
ادم ربه فغوى وقوله فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء الاية وقوله
عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت
من الظالمين وما ذكر قصته وقصة داود انما فتناه فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب الى قوله ماب وقوله ولقد همت به وهم بها
وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى
عليه قال هذا من عمل الشيطان ۝ وقول النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت واعلنت ونحوه
من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث
الشفاعة وقوله انه ليغان قلبي فاستغفر الله ۝ وفي حديث ابي
هريرة رضي الله عنه اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر
من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية وقد كان
قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ۝ وقال
عن ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ۝ وقوله عن
موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه
الظواهر ۝ فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم

من ذنبك

الجزء التاسع عشر من ٢٨



من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون ۝ فقيل المراد
ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب
وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر
عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته
عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه
الطبري رحمه الله واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم
وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن
عطاء وبمثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات ۝ قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه
وسلم هاهنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر
بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر الاية وبمال المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله
ابن عباس رضي الله عنهما فمقصد الاية انك مغفور لك
غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرية
من العيوب ۝ واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول
ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ
قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى
معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء
الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا
عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل
سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك

حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا
لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اى كاد ينقضه فيكون
على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه
وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها
اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له
وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل
الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله
تعالى بحفظ ما استحفظ من وحيه ۞ واما قوله عز وجل
عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه
معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك
قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا
وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف
وقد قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله
بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج
عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى
الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب
عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا قال الداودي
روي انها كانت تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل
اصلحك الله واعزك ۞ وحكى السمرقندي ان معناه عافاك
الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى

الاثنين

٧١

الاثنين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان
ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا
لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي
قبلي ۞ فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية قيل
المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي عليه السلام ولا
علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن
القتال حتى خشي عمر رضي الله عنه ان يعطف عليهم العدو ثم
قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون
في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد
النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى
لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح
لعوقبتم على الغنائم وزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال
لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم
كما عوقب من تعدى وقيل انه لولا انه سبق في اللوح المحفوظ
انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان
من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك ۞ وقد روي
عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه
وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاءوا القتل
وان شاءوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء
ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن

لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره
من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو
هذا اشار الطبري رحمه الله وقوله عليه السلام في هذه القصة لو نزل
من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر رضي الله عنه اشارة الى هذا
من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته
وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر
ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر
عليهم في ذلك عذابا لحلته لهم فيما سبق وقد قال الداودي
والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله
عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر
اليه فيه وقد نزهه الله عز وجل عن ذلك ۝ وقال القاضي بكر بن
العلا اخبر الله نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتب له من احلال
الغنايم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن
جحش رضي الله عنه قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم ابن كيسان
وصاحبه مما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام
فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان
الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما قد تقدم قبل مثله فلم
ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة
اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد نعمته بتعريفهم ما كتبه
في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار
او تذنيب هذا معنى كلامه ۝ واما قوله عبس وتولى الايات
فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك

المتصدي

المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشفت لك
حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم
لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه
واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه
الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده
والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى ۝ وقيل اراد
بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ابو تمام ۝ واما قصة ادم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا
منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ۝ وقوله
الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله
وعصى ادم ربه فغوى فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي
عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو
لك ولزوجك الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال
ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد
فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف
ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين ۝ وتوهما ان احدا لا يحلف
بالله حانثا ۝ وقد روي عذر ادم بمثل هذا في بعض الاثار
وقال ابن جبير رضي الله عنه حلف بالله لهما حتى غرهما
والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال
ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان
هنا الحزم والصبر ۝ وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف
لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن
معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق ۝

على خروج الناس والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر
بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك
قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى
فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا
وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي الله
عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من
ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها
نهي تحريم ۝ فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى وقال فتاب عليه وهدى وقوله في حديث
الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي
الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى
واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة
يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد
تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول
العذاب ۝ وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال
والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب
فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم
الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا
على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال
المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين ۝ فالظلم وضع
الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه
فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه
عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك

قومه

قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف
الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوا ربنا
ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعها غير الموضع الذي انزلا فيه
واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض ۝ واما قصة داود عليه
السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل
الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله
على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله
وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه
اي اختبرناه واواب ۝ قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال
ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ما زاد داود على ان قال
للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه
عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره
وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد
ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود
من ذلك ذهب احمد بن وابو تمام وغيرهما من المحققين ۝ قال
الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت فلا يظن بنبي محبة
قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نعاج
غنم على ظاهر الاية وقيل بل المعنى عن نفسه وظن من الفتنة بما بسط
له من الملك والدنيا ۝ واما قصة يوسف عليه السلام واخوته
فليس على يوسف منها تعقب ۝ واما اخوته فلم يثبت نبوتهم
فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم ۝ وقد قيل
انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا

لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسل معنا اخانا نرتع
ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قوله
الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى
مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليس
سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها
كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب المحققين
من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة
واما ما لم يوطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه
وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله
وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه
على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ
فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم بها
وان الكلام فيه تقديم وتأخير اي ولقد همت به ولولا ان
رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وقد قال تعالى كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء وقال الله تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل في ربي الله وقيل
الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي
غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها
وقيل دفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم
ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى
عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر
موسى عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله انه

من عدوه

من عدوه قيل كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة
في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة رضي الله عنه وكزه
بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا
من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج
قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال
النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها
دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء
قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير
ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة
معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار
ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه
السلام بالتعدي وفعل ما يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه
جائز الفعل لان موسى عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها
وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت
فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي
تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى فلما جاءه بعد واعلمه الله
انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة
هذا اسدها عندي وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري
وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقاء
عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف

واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه
وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتلينا وابتلاءه ما حكى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له
صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله ۞ قال اصحاب
المعانى والشق هو الجسد الذى القى على كرسيه حين عرض عليه
وهى عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقى على كرسيه ميتا وقيل ذنبه
حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص
وغلب عليه من التمنى وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب
بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به
وتسلطه على ملكه وتصرفه فى امته بالجور فى حكمه لان الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل
لم لم يقل سليمان فى القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها
ما روى فى الحديث الصحيح انه نسى ان يقولها وذلك لينفذ مراد
الله تعالى ۞ والثانى انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله
هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لم يفعل هذا سليمان عليه
السلام غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده فى ذلك
على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان
الذى سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد
ان تكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص

غيره

غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا
وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى عليه
السلام ۞ واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو
هذا ۞ واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه
اخذ فيها بالتأويل بظاهر اللفظ لقوله تعالى انا منجوك واهلك
فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من ذلك لا انه
شك فى وعد الله وبين الله له انه ليس من اهله الذين وعده
بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق
الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا التأويل وعتب
عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له فى السؤال
فيه ۞ وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر
ابنه وقيل فى الآية غير هذا وكل هذا لا يقضى ۞ على نوح بمعصية سوى
ما ذكرناه من تأويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه
ولا نهى عنه وما روى فى الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق
قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم
تسبح فليس فى هذا الحديث ان هذا الذى اتى معصية بل فعل
ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذى جنسه ويمنع المنفعة
بما اباح الله الا ترى ان هذا النبى كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته
النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى
الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك
التشفى كما قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ۞
اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو فى خاصته فكان انتقاما
لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت

فى كل هذا امر انهى عنه فيعصى به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك
ولا بالتوبة ولا الاستغفار منه والله اعلم   فان قيل فما معنى
قوله عليه الصلوة والسلام ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى
بن زكريا او كما قال عليهما السلام فالجواب عنه ما تقدم من ذنوب
الانبياء التى وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة ۝

فصل قال قلت فاذا نفيت عنهم

صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصى بما ذكرته من اختلاف المفسرين
وتأويل المحققين ۝ فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى
وما تكرر فى القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم
وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شئ ۝ فاعلم وفقنا الله واياك
ان درجة الانبياء صلوات الله عليهم فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله
وسنته فى عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف
منه جل جلاله والاشفاق من مؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم
فى تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اخذوا عليها وعوتبوا
بسببها وحذروا من المؤاخذة واتوها على وجه التأويل او السهو
او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة
الى على منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها كذنوب
غيرهم ومعاصيهم فان الذنب مأخوذ من الشئ الدنئ الرذل
ومنه ذنب كل شئ اى آخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه
ادنى افعالهم واسوء ما يجرى من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بطونهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب
والذكر الظاهر والخفى والخشية لله واعظامه فى السر والعلانية

وغيرهم

وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة
الى هذه الهنات فى حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين اى يرونها بالاضافة الى على احوالهم كالسيئات وكذلك
العصيان والترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت
من سهو او تأويل فهى مخالفة وترك وقوله غوى اى جهل ان
تلك الشجرة هى التى نهى عنها والغى الجهل وقيل اخطاء ما طلب
من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام
قد اوخذوا بقوله لاحد صاحبى السجن اذكرنى عند ربك فانسيه
الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ۝ قيل انسى يوسف
ذكر الله وقيل انسى صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبى
صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث فى السجن ما لبث ۝ قال
ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن
حبسك فقال يا رب انسى قلبى كثرة البلوى قال بعضهم ياخذ
الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويتجاوز عن سائر الخلق لقلة
مبالاته بهم فى اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج
للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء عليهم السلام
يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما
ذكرته وحالهم ارفع فحالهم فى سوء حالا من غيرهم ۝ فاعلم اكرمك
الله انا لا نثبت لك المؤاخذة فى هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل
نقول انهم يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون ذلك زيادة لهم
فى درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة
رتبتهم كما قال الله تعالى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى
وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى

تبت اليك انى اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان
عليه السلام وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب ۞ قال
بعض المتكلمين زلات الانبياء فى الظاهر زلات وفى الحقيقة كرامات
وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر
منهم او ممن ليس فى درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعر الحذر
ويعتقد المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعد الصبر على المحن
بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب المقام الرفيع المعصوم فكيف
بمن سواهم ولهذا قال صالح المرى ذكر داود عليه السلام بسطة
للتوابين قال ابن عطا لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت
نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه الصلاة والسلام وايضا
فيقال لهم فانكم ومن وافقكم يقولون بغفران الصغاير باجتناب
الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء عليهم السلام من الكباير فما جوزتم
من وقوع الصغاير عليهم هى مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة
بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهى مغفورة لو كانت
مما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتأويل
وقد قيل ان كثرة استغفار النبى صلى الله عليه وسلم وتوبته
وغيره من الانبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع والعبودية
والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد
أمن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر افلا اكون عبدا شكورا وقال
انى اخشاكم لله واعلمكم بما اتقى قال الحرث بن اسد خوف الملائكة
والانبياء عليهم السلام خوف اعظام وتعبد لانهم آمنون
وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم اممهم كما قال
عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ۞

وايضا

وايضا فان فى التوبة والاستغفار معنا آخر لطيفا اشار اليه بعض
العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين ۞ فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار
والتوبة والانابة والاوبة فى كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى
والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه عليه
بعد ان غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبى
والمهاجرين الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

فصل قد استبان لك ايها

الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله
وصفاته او كونه على حالة تنافى العلم بشئ من ذلك كله جملة بعد
النبوة عقلا واجماعا وقبلا وسمعا ونقلا ولا بشئ مما قرره
من امور الشرع واداه عن ربه من الوحى قطعا وعقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا
او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا
وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا
وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار
الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته فى كل حالاته
من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فايدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبى
او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان
يعتقد فى بعضها خلاف ما هى عليه ولا ينزهه عما لا يجب
ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدرى ويسقط فى هوة

الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز
عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على
الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية
فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن
ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا
فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه
الفصول ولعل جاهلا لا يعرف بجهله اذ سمع شيئا منها يرى
ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى قد
استبان لك انه متعين للفايدة التي ذكرناها وفايدة ثانية يضطر
اليها في اصول الفقه ويبنى عليها مسائل من الفقه لا تتعدد وتتخلص
بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال
النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير
من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه
وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته
من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر
وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم
فلا نطول به فائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي من اضاف
الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها
فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه
والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله
فيه نقص او مدح فاما ان يجتري على سفك دم مسلم حرام او
يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا
ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل

فصل القول في عصمة الملئكة

اجمع المسلمون ان الملئكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم
المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم
منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم
عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وبقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون
ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين
منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير
نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء
الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط
من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا
اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الانبياء عليهم السلام من الفوايد التي ذكرناها سوى فائدة
الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به
من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر
فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن
عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله
ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ بقياس والذي منه

في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير
من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترايهم
كما نصه الله تعالى اول الايات من افترائهم بذلك على سليمان
وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر
في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى
فاختلف اولا في هاروت وماروت وهل هما ملكان او انسيان
وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل
ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر
المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله
كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا
تكفر وتعليمها الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء بطلب تعلمه
لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فانه
سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به
ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن
ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال
نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال
خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم
السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشرطه
ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر
المعاصي والكفر المذكور في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد
ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما قال مكي
وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته
عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين

قال

قال مكي قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام بل ادعى اليهود
عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان
من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام ما يجابا على
هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه
قال الملكان هنا داود وسليمن وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل
كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة
بكسر اللام شاذة فمحل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة
ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله
بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه
قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم من خزان الجنة
الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ادم
ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن
حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا
والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال
الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار
ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم
فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكره الله الا
ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

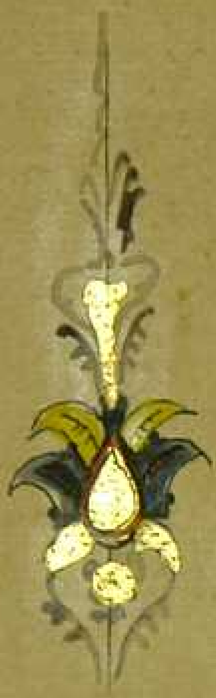
الباب الثاني

فيما يخصهم من الامور الدينوية ويطرء عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا انه عليه السلام وساير الانبياء والرسل من البشر وان جسمه
وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغيرات والالام
والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس
ليس بنقيصة فيه لان الشئ انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو
اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون ۞ وخلق جميع البشر بمدرجة الغير
فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع
والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه
الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا
رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم
قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص
من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها
واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا
في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض
الاوقات ومنهم من عصمه كما عصمهم بعد نبينا عليه الصلاة
والسلام من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه تعالى يد ابن قميئة يوم
احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطايف فلقد
اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولين لم يقه من سحر
ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا
ساير انبيائه مبتلى ومعافا وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم
في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق
بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم

لئلا

الجزء التاسع عشر ١٩



لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال النصارى
بعيسى ابن مريم وليكون في محنهم تسلية لامتهم ووفور لاجورهم
عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم ۞ قال بعض المحققين
وهذه الطوارى والتغيرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية
المقصود بها مقاومة للبشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس واما
بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملاء
الاعلا والملئكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم وقد
قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي قال اني لست
كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقين وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي
فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان
الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل
منها شئ باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره
اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه
حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الاثار انه كان
محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره
اذا جاع ضعف كذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته
وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله
لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول
انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر
على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به
كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه ۞

فصل فان قلت فقد جاءت

الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد

العنابي بقراتي عليه قال حدثنا خاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن على
بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري
حدثنا عبيد بن اسمعيل قال حدثنا ابو اسامة عن هشام بن
عروة عن ابيه عن عايشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى
كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث واذا كان
هذا كان من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم ۞ فاعلم وفقنا
الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة
وقد عت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عليه السلام عما يدخل في امره
لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه
كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته ۞ واما ورد انه كان يخيل
اليه انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء
من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع
على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي
لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات
كساير البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم
ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفعل الحديث الاخر من قوله
حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن ۞ وقد قال سفيان
وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل عنه
في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت
خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل اليه

الشيء

١٨١

الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فيكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لايمتنا
من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه
بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث
تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس
الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب
وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروي
نحوه عن الواقدي وعبد الرحمن بن كعب وعمر بن عبد الحكم وذكر عن عطاء
الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عايشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند
رأسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة حتى انكر
بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب
فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان ذلك من مضمون
هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه
واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطء وطعامه
واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله
ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على
النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن
كما يعتري من اخذ ۞ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله

وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عايشة رضي الله عنها في الرواية
الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل
من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه
او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره
وضعف نظره لا لشيء طرى عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن
فيما ذكر من اصابة السحر له تأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به
الملحد المعترض انسا

فصل هذه حاله في جسمه

فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد
والقول والفعل اما العقد منها فهو يعتقد في امور الدنيا الشيء
على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع
كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا
حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا
ابو احمد بن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبد الله بن
الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا حدثنا النضر بن محمد
قال حدثني عكرمة حدثنا ابو النجاشي قال حدثنا رافع بن خديج
قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا
كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا
امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأي فانما انا
بشر وفي رواية انس رضي الله عنه انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث
آخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنهما في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما
انا بشر اخطىء واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه
من امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام
لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر هذا منزل انزلكه
الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل
هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنى
ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون
فقال اشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم
في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار
الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور
الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز
عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس في هذا نقيصة ولا محطة وانما هي امور
اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي
صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوارح بعلوم
الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا
انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق
في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة
وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق
مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد
نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل واما ما يعتقد في امور

احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل

وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر
وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت له من حق اخيه بشيء
فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه
ابو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر
حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير اخبرنا
سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية
الزهري عن عروة فلعل بعضكم يكون ابلغ من بعض فاحسب انه
صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر
وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك
فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سراير عباده ومخبآت ضماير امته
فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او
يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله
واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره
الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت
حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه
هو في تلك القضية بحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله
له بما اطلعه عليه من سرايرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى
الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره
من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه
ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان

بالفعل

بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول
وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام
واكثر فايدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله
حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته
وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء
ويستأثر بما يشاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته

فصل واما اقواله الدنيوية

من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد
او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم صلى الله
عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجايز
ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته
عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي عن ممازحته
ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة
وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا
كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد
قال صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا
كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي
في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا
بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه

السلام ما كان لنبي ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى
اذا قوله تعالى في قصة زيد ۝ واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية ۝ فاعلم اكرمك الله
ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر
وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن
جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير
عن علي بن حسين رضي الله عنهما ان الله تعالى كان ۝ اعلم
نبيه عليه السلام ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه
زيد قال له امسك عليك زوجك اتق الله واخفى منه في نفسه
ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام
التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن قايد عن الزهري
قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله
يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح
هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا ۝
اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها
غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم
مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه
حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه صلى الله عليه
وسلم فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى
سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو
كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى
الله عليه وسلم ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيها اعظم

الحرج وما لا يليق من مدة عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة
الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به
الاتقياء فكيف سيد الانبيا عليه وعليهم الصلوة والسلام قال
القشيري وهذا اقدام عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبي
صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي
بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه
صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد
وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال
سنته كما قال ۝ ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك
وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفايدة في امر النبي
صلى الله وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته
فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة
واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس
يتزوج امرأة ابنه فامر الله بتزوجها ليباح مثل ذلك لامته
كما قال الله تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس
عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجأة واستحسنها ومثل
هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة
الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما
تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه
عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطا وصححه
واستحسنه القاضي القشيري ۝ وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال

انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبى صلى الله
عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق فى ذلك واظهار خلاف ما
نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ماكان على النبى من حرج
فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم
فقد اخطاء قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه
الاستحياء اى يستحى منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشية
عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشنيعهم
على المؤمنين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل
الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم
فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه فى سورة التحريم بقوله
لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله له هاهنا وتخشى الناس
والله احق ان تخشيه وقد روى عن الحسن وعايشة لو كتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيأ لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه

فصل فان قلت قد تقررت

عصمته عليه السلام فى اقواله فى جميع احواله وانه لا يصح منه فيها
خلف ولا اضطراب فى عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد
ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث فى وصية عليه
السلام الذى حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله قال
حدثنا القاضى ابو الوليد قال حدثنا ابو ذر قال حدثنا ابو محمد
وابو الهيثم وابو اسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
اسمعيل قال حدثنا على بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق اخبرنا
معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس
قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال فقال

النبى

النبى صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال
بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث
وفى رواية ائتونى اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى ابدا فتنازعوا فقالوا
ماله اهجر استفهموه فقال دعونى فان الذى انا فيه خير وفى بعض
طرقه ان النبى صلى الله عليه وسلم يهجر وفى رواية هجر ويروى
اهجر ويروى اهجر وفيه فقال عمر ان النبى قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عنى وفى رواية واختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا فى هذا
الحديث النبى صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما
يكون من عوارضها من شدة وجع وغشى ونحوه مما يطراء على جسمه
معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن فى معجزته
ويؤدى الى فساد فى شريعته من هذيان واختلال فى كلام وعلى
هذا لا يصح ظاهر رواية من روى فى الحديث هجر اذ معناه هذى يقال
هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما
الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا
روايتنا فيه فى صحيح البخارى من رواية جميع الرواة فى حديث الزهرى
المتقدم وفى حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه
الاصيلى بخطه فى كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم
فى حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر
على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول
القايل هجر او اهجر دهشة من قايل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد
من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهو المقام

الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم ينضبط
هذا القايل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لانه اعتقد انه يجوز
عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله
يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي
اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم
ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم
الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام بان يأتوه بالكتاب
فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها
من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر من قراين قوله
صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمة
بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه
فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب رأي
عمر رضي الله عنه ثم هولاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا
على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء
الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي اشتد به
الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون
في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة
الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطي
ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله
قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم

بكتاب الله

بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه
لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق
المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان
يتقولوا في ذلك بالاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار
هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركهم وقالت
طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه
منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي
ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي رضي
الله عنهما انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
كان الامر فينا علمناه وكراهية علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث
واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه
خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم
وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل فان قيل فما وجه حديثه

ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراتي عليه حدثنا ابو علي
الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي قال
ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبة حدثنا
ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال
سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد
اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته

او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة و
فى رواية فايما احد دعوت عليه دعوة فى رواية ليس لها باهل وفى رواية
فايما رجل من المسلمين سببته اولعنته اوجلدته فاجعلها زكاة وصلاة
ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبى صلى الله عليه وسلم من لا يستحق
اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل
مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله
صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اى عندك يارب فى باطن امره
فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التى ذكرناها فحكم
عليه السلام لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التى وصفه
الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعائه وفعله
له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لانه عليه السلام يحمله الغضب
ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا
معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب
حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله
على ما معاقبته بلعنته او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه
عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج
مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدى حدود الله
وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعوته على غير واحد فى غير
موطن على غير القصد والقصد بل مما جرت به عادة العرب وليس
المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك اشبع الله بطنك وعقرى
حلقى وغيرها من دعوته عليه السلام وقد ورد فى صفته فى غير حديث
انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس رضى الله عنه لم يكن سبابا
ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب

جبينه

حبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة
امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال فى الحديث ان يجعل ذلك للمقول
له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه
وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبى
صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون
ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان
يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون عقوبته
له فى الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء فى الحديث الاخر ومن اصاب
من ذلك فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير و
قول النبى صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصارى فى شراج
الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصارى ان كان ابن
عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب
ان النبى صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم فى هذه القصة
امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار
على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر
ولج وقال ما لا يجب استوفى النبى صلى الله عليه وسلم للزبير حقه
ولهذا ترجم البخارى على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى
حكم عليه بالحكم وذكر اخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حقه حينئذ للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا
فى قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم وكل ما فعله فى حال
غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضى القاضى وهو غضبان فانه
فى حكمه فى حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما وغضب

النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء
في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في افادة عكاشة من نفسه
لم يكن لتعمد حمل الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة
قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا اردت ام ضرب الناقة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي
حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت
عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه
بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول
له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلث مرات وهذا منه
صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب
لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه
واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق
فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني
فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف عن بطنه انما ضربه
عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه
فلما كان منه ايجاع لم يقصد طلب التحلل منه على ما قدمناه ۝

فصل واما افعاله عليه السلام

الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن
جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة
بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل
اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان
عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه

وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته
وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه
او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر
معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في
زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب
اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه
لما قرب الجماد وفي اسفاره الراحلة وقد يركب البغلة في معارك
الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة
الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه
ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته
وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور
الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان
مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم
مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول
الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة
على قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم
لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم
للدين واهله فقال لعائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح
لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل
الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر
الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري
ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو

رجاء استيلافه وتصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل له الرغايب ليحبب اليه شريعته ودين ربه
ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتبسم في ملائه حتى
لا يبدوا منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه الطير
ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه
ويضحك مما يضحكون قد وسع الناس بشره وعدله لا يستنفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن عن جلسائه يقول ما كان
لنبي ان تكون له خائنة الاعين ۝ فان قلت فما معنى قوله لعايشة
في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه
فلما سألته عن ذلك ۝ قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره
وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال
فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا
لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله
فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من
حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال
الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة ۝ قال صفوان رضي الله عنه لقد
اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي فما زال
يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو
غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز
منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل
هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم تكن بغيبة بل كان جائزا
بل واجبا في بعض الاحيان لعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين
في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله

عليه

عليه السلام لعايشة رضي الله عنها ۝ وقد اخبرته ان موالي بريرة
ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها
واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام
يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله
فهو باطل شرط الله اوثق وقضاؤه احق والنبي صلى الله عليه
وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما
باعوها من عايشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها
ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة ۝ فاعلم
اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل
من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم
هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث
ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم قال
الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى
هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي ۝ صلى الله عليه
وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك
ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس
على الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم
بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان الولاء لمن اعتق فكأنه
قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب
الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم
على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا ۝ الوجه الثالث ان معنى
قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم
سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام صلى الله عليه

وسلم مبينا ذلك وموبخاً على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل
فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله
واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم
لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على
ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله سبحانه كذلك كدنا ليوسف
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان
ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضاً فان يوسف كان اعلم اخاه
باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه
ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه
بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول
يوسف فليزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قول ان حسن له
التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال
ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم
ان نقول الانبياء ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص
منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم

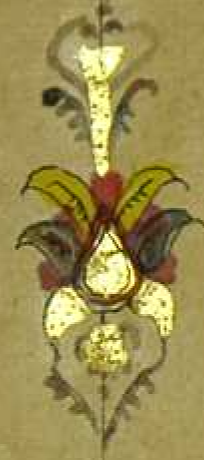
فصل فان قيل فما الحكمة

في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم
الصلوة والسلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم
بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا
وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم
وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها
صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون

وليبلوكم

١٩٠

الجزء العشرين



وليبلونكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم
فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم
واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم
والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة
لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا
بهم في الصبر ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم
ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر
واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال
حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي
حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب
بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد الناس
بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما
يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال
وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله
حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله عنه عنه عليه
السلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا اذا اراد
الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي
حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي
رحمه الله ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد

كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روى عن لقمان انه قال يا بني
الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء ۝ وقد
حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته
اليه ويوسف نايم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف
على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جارية يتيمة فشمت
ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكايه وبينهما جدار
ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف
الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك
كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا
فليتعد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله
عليها وروى عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل
قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به
مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه
من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره
ولا علم عنده وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله
عليه وسلم قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت الوجع على احد
اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وعن عبد الله رايت
النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت
انك لتوعك وعكا شديدا قال اني اوعك كما يوعك رجلان منكم
قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث
ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
والله لا اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى
الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي
ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن
انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء
مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى
ومن سخط فله السخط ۝ وقد قال المفسرون في قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له كفارة
وروى هذا عن عايشة رضي الله عنها وابي ومجاهد وقال
ابو هريرة عنه عليه السلام ۝ من يرد الله به خيرا يصب منه وقال
في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله عنه حتى
الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب
ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا
كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما من
مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر
وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع
عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل
خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات
لتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت
الفجاة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين
والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل
خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا ۝ وفي رواية ابي هريرة رضي الله
عنه من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت
وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء
معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء

والامرض راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه
وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما اتتها فاذا اراح الله عن المؤمن رياح البلايا
واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو
رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته
وثوابه عليه واذا كان هذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت
ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من
الآلام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب
ورقتها وضعفها بتوالي المرض اوشدته والكافر بخلاف فهذا
معافا في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا
اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف
ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة
نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا وتعذيب الاخرة اشد
كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
الاية فجاء جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به
على غير استعداد بغتة ولهذا ما ذكره السلف من الفجاءة ومنه
في حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذه كاخذة الاسف اي الغضب
يريد موت الفجاءة وحكمة ثانية ان الامراض نذير الممات
وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته
وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكار
ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل

الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه
من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
المغفور له ما تقدم وما تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له
عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص
منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين
بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا
تضل امته بعده اما في النص على الخلافة والله اعلم بمراده ثم راى
الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه
المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا
اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون وكذلك قال عليه السلام في رجل مات
فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال
عليه السلام موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر
او الفاجر وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له
منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من
نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح
منه وياتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة
ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا
يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه
وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى
اشار صلى الله عليه وسلم بقوله من احب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلاة والسلام
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب و
السنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم
وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله
تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين
وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال الله تعالى والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال الله تعالى في تحريم
التعريض له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد
اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة
فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين
عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به
وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع
لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي
صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا
نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته
لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام
قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي
صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم

استجاب

استجاب لرجل يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى
حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه
ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه
فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة
المجان المستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو
العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع
العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه
هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه
عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به لقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله
ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته يا ابا القاسم بعضهم في بعض
الاحوال وقد روى انس رضي الله عنه عنه عليه السلام ما يدل
على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون
اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل
الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر
الطبري وحكاه محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه
ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد
بن زيد بن الخطاب رضي الله عنه لا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم
يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك
وغير اسمائهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب
جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك

وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم ۞ وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام
ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن
طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال
ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وقد فصلت
الكلام في هذا القسمين على بابين كما قدمنا ۞

الباب الاول

في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص
فاعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي عليه السلام او عابه
او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض
او شبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه او التصغير لشانه
او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب
يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد
ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه
او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث
في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره
بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية
الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى
من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرى قال ابو بكر
بن المنذر رحمه الله تعالى اجمع عوام اهل العلم على ان من سب
النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك ابن انس
والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي رضي الله عنهم
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهو مقتضى قول ابي بكر

الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هولاء وبمثله قال ابو
حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم ولكنهم
قالوا هي ردة ۞ وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري
مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ
منه او كذبه ۞ وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا
وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفر كما سنبينه
في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه
بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله
وتكفيره واشار بعض ۞ الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفاسي
الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمنا ۞ قال محمد
بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص
له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل ومن
شك في كفره وعذابه كفر ۞ واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد
الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله
صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي
لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما
وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال
ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه
عند الائمة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره
وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة ۞ من شتم النبي صلى الله عليه وسلم

من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه
حيا او قتله ۞ ومن رواية ابي مصعب وابن ابي اويس سمعنا
مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه
او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب ۞ وفي كتاب محمد
اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال
اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان
توبته لا تعرف وقال عبد الله بن الحكم من سب النبي صلى الله
عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب ۞ وحكى الطبري مثله
عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء
النبي صلى الله عليه وسلم ۞ ويروى زر النبي صلى الله عليه
وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع
العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه
انه يقتل بلا استتابة ۞ وافتى ابو الحسن القابسي في من قال
في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب بالقتل
وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذكرون
في صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه
واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا
المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه
الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان ۞ وقال احمد بن ابي
سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول

الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل
له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما
اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي سأله
اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب
بن الربيع لان ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان
وهو غير معزز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب
اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل
ادّ واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او
جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس
بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من
استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء
مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا
ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه ولهذا ۞ وافتى فقهاء
القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان
شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي
ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا
الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا صلى الله عليه وعليهم
اجمعين فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء
وامر بقتله وصلبه وطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل
واحرق بالنار ۞ وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته
وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان
اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى
بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وذكر حديثا عنه

عليه السلام انه قال لا تبلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي
ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك
عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته ۞ وقال
حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه
عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب
الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم
باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب
كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك
متقدمهم ولا متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما
اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره
برعاية الغنم او السهو والنسيان او السحر او ما اصابه من جرح
او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او
بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد
مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه ۞

فصل في الحجة في ايجاب قتل

من سبه او عابه عليه السلام فمن القرآن لعنه تعالى لموذيه في الدنيا
والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله
تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل
فقال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقال
في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنه في الدنيا القتل قال الله
تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين
وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن

قال الله تعالى قتل الخراصون الذين ۞ وقاتلهم الله اي لعنهم الله
ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما دون القتل
من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله ونبيه اشد من ذلك
وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عن من وجد في صدره حرجا
من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال الله
تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ۞ الى
قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل
وقال الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم
قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال الله تعالى
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ۞ وقال الله تعالى ولئن
سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم
قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد
بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي ۞ اجازة قال
قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية قالا حدثنا
محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة
حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه
عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي
عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه
ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله
عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف

فانه يؤذي الله ورسوله و وجد اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف
غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل ان اياه لغير الاشراك
بل للاذى ولذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل
ابن خطل وجاريته اللتين كانتا بغنيان بسبه عليه السلام وفي
حديث ان رجلا كان بسبه عليه السلام قال من يكفيني عدوي
فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله ولذلك
لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار وبسبه كالنضر بن الحرث
وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده
فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عقبة ابي معيط نادى يا معاشر
قريش مالي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من
يكفيني فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير ۞ وروى ايضا ان
امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فخرج
اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب على النبي
صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه ۞ وروى
ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك
على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن
لابي بكر رضي الله عنه ان امرأة هناك في الردة غنت بسب
النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابي بكر

فقال له

فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه
الحدود ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما هجت امرأة من خطمة
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي فقال رجل من قومها انا
يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا ينتطح فيها عنزان ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اعمى كانت
له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تزجر فلما
كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه
فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها ۞
وفي حديث ابن بردة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل
وغير وحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي
اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة
رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم
يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب
النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك
كتاب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامله بالكوفة وقد استشاره
في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه لا يحل قتل امرئ
مسلم بسب احد من الناس الا رجلا يسب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل
شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه
بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد
نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

جُلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد
من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء
الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب
العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه
او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل
هو سب او غير سب او يكون رجع او تاب عن سبه فلم يقتله لمالك
على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله
من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام قد ظهرت
علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير
من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول
الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل
حدا وان لم يحكم بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع
عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات
الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله
لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر
من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول
القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وقد قيل ان قايل مثل هذا ان كان مستترا به
ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه
السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان حكم النبي صلى الله
عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد

فكانت

١٦٨

فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشرف منزلته على غيره

فصل فان قلت فلم لم يقتل

النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم
وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر قال له ان هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال
قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين
كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل
قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول لاصحابه انما بعثتم مبشرين ولا تبعثوا منفرين ويقول
يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار
والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر
على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء
والاحسان وبذلك امر الله تعالى فقال الله تعالى ولا تزال تطلع
على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب
المحسنين وقال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف
اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين
كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد
بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة
ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به
ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك

هدر دمهم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن
آذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة
وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها
القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ۝ وكان مع هذا
يطمع فى فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام فتوبتهم فيصبر عليه السلام
على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير
منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اخلص جهرا ونفع الله
بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار
كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا
السؤال ۝ وقال لعله لم يثبت عنه عليه السلام من اقوالهم ما رفع
وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة فى هذا الباب من صبى
او عبد او امرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل
امر اليهود فى السام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى
كيف نبهت عليه عائشة رضى الله عنها ولو كان صرح بذلك
لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم
وقلة صدقهم فى سلامهم وخيانتهم فى ذلك ليا بالسنتهم
وطعنا فى الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول
السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك بعض اصحابنا البغداديين
ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم
يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان
الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان ۝ وان كان من اهل
الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد

الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين فى العرب كون من يتهم
بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين
بحكم ظاهرهم ۝ فلو قتلهم النبى صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما
يبدر منهم وعلمه بما أسروا فى انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبى صلى الله عليه و
سلم والدخول فى الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو
الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رأيت
معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال
عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك
الذين نهانى الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة
عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس
فى علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم
النبى صلى الله عليه وسلم وقاله القاضى ابو الحسن بن القصار
وقال قتادة فى تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين
فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله
الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق ۝ وحكى محمد بن مسلمة
فى المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبى جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم نسخت ما كان قبلها وقال
بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله
اعدل لم يفهم النبى صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه
والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط فى الرأى وامور الدنيا
والاجتهاد فى مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى

الذي له العفو والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود
اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه
من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون
دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين
ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا
عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال
بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى
قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه
السلام ۞ وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث
ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي
من اهل العهد والذمة والحرب ولا يترك موجب الادلة للامر
المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على
حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف
ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد
وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى
ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من عينه منهم وانزالهم من
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم
الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير
وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم
وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا
السفلى فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عايشة

انه عليه



انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان ينتهك
حرمة الله فينتقم لله ۞ فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه
او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون
ما لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل
بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب
من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي
بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي
شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من التظاهر زوجيه
عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه ويكون هذا مما اذاه به كافر
رجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن
الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها
ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم
رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل قال القاضي تقدم

الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان
من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني
لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القايل لما قال في جهته
عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم
في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه
او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام
نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ
الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه
او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه

السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او يأتي بسفه من القول
وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه
لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه اما بجهالة حملته على ما قاله او
لضجر اوسكر اضطره اليه اوقلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور
في كلامه فحكم هذا الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد
في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه
اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان
يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى
زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي في من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد
هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف
والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب
الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد
لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى
الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى
الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة
فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا
عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث

ان يقصد

ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده
او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر
باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه
اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر
لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان
ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك
فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال
ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال
الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا
ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله
يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره
من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه
كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله
سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال
اصبغ وهو كالمرتد لانه كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال
اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد
نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل
وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي
مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد
بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب
سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل

لم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال
انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل
لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته وموضعه كفر والمظهر
له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع ان ياتي

من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى
الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره
فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة
استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه
فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال
القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على
محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون
هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين
يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن
مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ ابن الفرج لا يقتل لانه
انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب
في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم
تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم
الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة
تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل
على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له
بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه

وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل
وتوقف ابو الحسن القابسي رحمه الله في قتل رجل قال كل صاحب
فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق
عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل
اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل
فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب
فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء
والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين
وما ترد اليه التاويلات لا بد من انعام اعمال النظر فيه هذا
معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال
لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني ادم وذكر انه
لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر
اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم
المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر
لباد ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله
تعالى ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى
سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام
سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة
كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد
من اباته واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى
ادم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه
وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في ابائه من الانبياء

على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسالتين تقتضي تخصيص بعض آبائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رأيت لابي موسى ابن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى الكلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه

فصل الوجه الخامس

ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض

اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وان كذبت فقد كذبت الانبياء وان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم من الرسل او كصبر ايوب عليه السلام او قد صبر نبي الله صلى الله عليه وسلم على عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي

، انا في امة تداركها الله ، غريب كصالح في ثمود ،

ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

، كنت موسى وافته بنت شعيب ، غير ان ليس فيكما من فقير ،

على ان اخر هذا البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله

، لولا انقطاع الوحي بعد محمد ، قلنا محمد من ابيه بديل ،
، هو مثله في الفضل الا ، انه لم ياته برسالة جبريل ،

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل تشبيه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر

، واذا ما رفعت راياته ، صفقت بين جناحي جبرين ،

وقول الاخر من اهل العصر

، فر من الخلد واستجار بنا ، فصبر الله قلب رضوان ،

وكقول حسان المصيصي من شعراء اندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد وفي وزيره ابي بكر ابن زيدون

كان ابا بكر ابو بكر الرضى ، وحسان حسان وانت محمد

الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها وللتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملئكة والانبياء عليهم السلام نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قايلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل التطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله

فان يك باقي سحر فرعون فيكم ، فان عصى موسى بكف خصيب

وقال له

وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه بالنبي صلى الله عليه وسلم

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ، خلقا وخلقا كما قد الشراكان

وقد انكروا ايضا عليه قوله

كيف لا يدنيك من امل ، من رسول الله من نفره

لان حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في مثل هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاء فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا يكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو

فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع
على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال
واما ذكر مالك خازن النار فقد جفا الذى ذكره عندما انكر عبوس
الاخر الا ان يكون المعتبس له يد فيرهب بعبسته فشبهه القايل
على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة المالك الملك
المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون
اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس
بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة
وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن
ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت
فانك امى فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه
مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم
عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطاء لكنه مخطئ
في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي اميا
آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف
ولجا الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه
الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت
ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي
ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له
انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص
حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع
ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله

فصل الوجه السادس

أن يقول القايل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر
صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك
على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان
اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقايله والانكار والاعلام بقوله
والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله
وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض
على قايله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب
بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القايل لذلك
ممن تصدى لان يوخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او
شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه
والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه
ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ
العامة او يودب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء
ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله
عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القايل بهذه السبيل فالقيام
لحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته
على الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به
الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي
الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف
على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل
ابو محمد بن زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى

البيعة ان لا يؤدي شهادته فقال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته
فليشهد ۞ وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى
الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك ۞ واما الاباحة
لحكاية لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس
التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد
لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعي بمباح ۞ واما الاغراض المتقدمة
فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير
من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ۞
الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى
على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل رحمه
الله انكار لبعض هذا على الحرث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده
على الجهمية والقايلين بالمخلوق هذه الوجوه السايغة الحكاية عنها
فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه
الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث
والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال
ومالا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض
مما كان من قايله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه
او لم تكن عادة او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على
حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العود وان قوم
ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث

هو كان

هو كان الادب اشد ۞ وقد حكي ان رجلا سأل مالكا عمن يقول
ان القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن
غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق
الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه
انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه
لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه
ورواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب
نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل
الى الهاوية امه ۞ وقد قال ابو عبيد القاسم ابن سلام في من حفظ
شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض
من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي
صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم
الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث
المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها
يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من
قايلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن
سلام رحمه الله تعالى قد تحرا فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي
اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه
وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق
الى سيد البشر وشفيع يوم المحشر صلى الله عليه وسلم ۞

فصل الوجه السابع

ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه
عليه وما يطرء من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر

ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدة من مقاساة اعدائه واذاهم له
ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من
معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه
الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازدراء ولا استخفاف
لا في مقصد ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده
ويحققون فوايده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته
فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه
من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن
فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء
حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك
عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره
على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة
جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله تعالى
لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته
بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم كذلك قد ذكر الله
يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها
على وجه تعريف حاله والخبر مبتدا به والتعجب من منح الله قبله و
عظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته
اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم
شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم و
استباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده

بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين
ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال
ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين
سال ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك ثم قال ولو كان
في ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم من صفته
واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا
وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به
فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزة اذ معجزته العظمى
من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح
صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن
مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة
اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة
موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب
استغنى عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها
سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من
عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة
نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنائه وهلم جرا الى ساير ما روي من اخباره وسيره وتقلله
من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته
نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية

بين حقيرها وخطيرها السرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا
من فضايله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها موردة
وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم
منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك
ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث
مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى
تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى
منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث
بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال
ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان
يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه
على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل
وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون
الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على
قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته
ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم
جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد
العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز
ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها وحملها على ظاهرها
شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر ❁ فاما ما لا يصح من هذه
الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق
انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك الشغل بها الا ان يذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة

المفاد

المفاد واهية الاسناد ❁ وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك
تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها
ومنقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه
طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها
من اصلها من طرحها اكشف للبس واشفى للنفس ❁

فصل ومما يجب على المتكلم

فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته
ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم
في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره
وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات الادب
عند ذكره صلى الله عليه وسلم فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر
عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء
للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ
في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى
احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر
من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم
في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف
ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويجتنب لفظة الكذب
جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم
وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه
ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال
قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي وموافقة بعض

الصغاير فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصى او يذنب او
يفعل كذا وكذا من انواع المعاصى فهذا من حق توقيره عليه السلام
وما يجب له من تعزيز واعظام ۞ وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من
هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجاهلين
قوله لاجل ترك تحفظه فى العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يا اباه
ويكفر قايله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا فى ادابهم
وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله فى حقه عليه السلام
اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشىء او تحسنه وتحريرها
وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان
لسحرا ۞ فاما ما اورده على جهة النفى عنه والتنزيه فلا حرج فى
تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا
اتيان الكباير بوجه ولا الجور فى الحكم على حال ولكن مع هذا يجب
ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا
وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه
فى القسم الثانى وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اى
من القرآن حكا الله فيها مقال عداه من كفر باياته وافترى عليه
الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا
من التشبه بمن كفر به سبحانه لا اله الا هو العلى العظيم ۞

الباب الثانى

فى حكم سابه وشانئه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته
ووراثته قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد قدمنا ما هو
سب واذى فى حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل
فاعل ذلك وقايله وتخير الامام فى قتله او صلبه على ما ذكرناه

وقررنا الحجة عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه
وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر
التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته
ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر فى هذا
القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على
او جاء تايبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كساير
الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسى رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب
منه واظهر التوبة قتل لانه هو حده ۞ وقال ابو محمد بن ابى زيد
فى مثله واما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال
بن سحنون من شتم النبى صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم
تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف فى الزنديق
اذا جاء تايبا فحكى القاضى ابو الحسن بن القصار فى ذلك قولين قال
من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه
فلما اعترف خفنا انه خشى الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من
قال اقبل توبته لانى استدل على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على
باطنه بخلاف من اسرته البينة ۞ قال القاضى ابو الفضل رضى الله
عنه وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبى صلى الله عليه وسلم
اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق
للنبى صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كساير
حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعى تقبل واختلف
فيه عن ابى حنيفة وابى يوسف رحمهما الله ۞ وحكى ابن المنذر عن
على بن ابى طالب رضى الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون

ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل
من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد
كالزنديق لانه لم ينتقل من دين الى غيره من ظاهر الى ظاهر ۞ وقال
القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه
وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي
بشر والبشر جنس يلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والبارى
تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة
بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان
الارتداد معنى يتفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت
توبته ومن سب النبي تعلق فيه حق الادمي فكان كالمرتد يقتل
حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا و سرقة وغيرها
ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لمعنى يرجع الى
تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا يسقط التوبة قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي
الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لانه بتوبته واظهار انابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب
عليه وقال ابو عمران القابسي من سب النبي ثم ارتد عن الاسلام
قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن
المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا
وهو يحتاج الى تفصيل ۞ واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك
ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به اهل العلم فقد صرحوا بانه
ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم

لم يحكم

الجزء الثاني والعشرون
٢٢



له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو
يوجب القتل فيه حدا ۞ وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره
ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات
كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم
الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر
عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه
بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن
اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد
والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا
ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام
الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك
الصلاة ۞ واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره
ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل
توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله
المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره ۞ وكذلك من لم يظهر التوبة
واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله
هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه
التفصيلات خذ كلام العلما ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم
ان شاء الله تعالى ۞

فصل اذا قلنا في الاستتابة

حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق

بينهما وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب
جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع
من الصحابة رضوان الله عليهم على تصويب قول عمر رضي الله عنه
في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود
رضي الله تعالى عنهم وبه قال عطا ابن ابي رباح والنخعي والثوري
ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب
وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين
عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ
وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو
قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرا القتل عنه
لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه ۞ وحكى ايضا عن عطاء ان كان
ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي ۞ وجمهور العلماء
على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروى عن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة
وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يقتل النساء في الردة وبه
قال ابو حنيفة رحمه الله قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى
فيه سواء ۞ واما مدتها فمذهب الجمهور وروى عن عمر رضي الله
عنه انه يستتاب ثلثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر
وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك
وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس
قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال
مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلثة ايام
يعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن ابن

القصار

قصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الرأي وروى
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب
فقتلها وقاله الشافعي رحمه الله مرة فقال ان لم يتب مكانه
قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلث
مرات فان ابى قتل ۞ وروى عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري
ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى
انه يستتاب ثلاث مرات في ثلثة ايام او ثلث جمع كل يوم او جمعة
مرة وفي كتاب محمد عن ابن القسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلث
مرات فان ابى ضربت عنقه ۞ واختلف على هذا هل يهدد
او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت
في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره
وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام
وفي كتاب ابي الحسن الطابستي يوعظ تلك الايام ويذكر بالجنة
ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون
مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف
ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا
كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم ۞
نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك
يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد رحمهما الله وقاله
ابن القاسم وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الرأي
ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا

وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال
ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد فى المرة الاولى ادبا
اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعى والكوفى

فصل قال القاضى رحمه الله

هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول
لم يدفع فيهم فاما من لم يتم الشهادة عليه بما شهد عليه
الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل
ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة
عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة فى الدين
والنبذ بالسفه والمجون فمن قوى امره اذاقه من شديد النكال
من التضييق فى السجن والشد فى القيود الى الغاية التى هى منتهى
طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو
حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه
وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه امره وحالات الشدة فى نكاله
تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعى
انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك فى العتبية وكتاب محمد من رواية
اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقال سحنون وافتى ابو
عبد الله بن عتاب فى من سب النبى صلى الله عليه وسلم فشهد
عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسى فى مثل هذا ومن كان
اقصى امره القتل فعاق عايق اشكل فى القتل لم ينبغ ان يطلق
من السجن ولا يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى

ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال فى مثله ممن اشكل امره
يشد فى القيود شدا ويضيق عليه فى السجن حتى ينظر فيما يجب عليه
وقال فى مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح
وفى الادب السوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما
ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم
عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان
من اهل التبريز واسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه
بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا فى تنكيله موضع
اجتهاد والله ولى الارشاد وهو مرنى العباد

فصل هذا حد المسلم فاما

الذمى اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير
الوجه الذى كفر به فلا خلاف عندنا فى قتله ان لم يسلم لانا
لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا
حنيفة والثورى واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل وما هو
عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا
على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
فى دينكم الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبى صلى الله عليه وسلم
لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على
هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه
العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا يقتلون لكفرهم
وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع فى سرقة
اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم

فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت ظواهر
لاصحابنا تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف
عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد ۞ وحكى ابو المصعب
الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل
يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه
لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهر الا مخالفة للامر ونقضا
للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال
الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم
بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بداه منه الان
فلم يقبل بعد رجوعه ولا استمنا الى باطنه اذ قد بدت سرايره وما
ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط
اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به
فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق
المسلمين من قبل الاسلامه من قتل او قذف واذا كنا لا نقبل توبة
المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى ۞ قال مالك رحمه الله في
كتاب بن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة
او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن
القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون ۞ وقال سحنون
واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له
توبة ۞ وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب ۞ وروى لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر ۞ وقد روى
بن وهب عن ابن عمر رضي الله عنهما ان راهبا تناول النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه ۞ وروى عيسى
عن ابي القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل
اليكم وانما نبينا موسى وعيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله
تعالى اقرهم على مثله ۞ واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل
عليه قرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل ۞ قال ابن القاسم
واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو
هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل
قال ۞ واما من شتم النبي شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم
قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمد قوله
عندي ان اسلم طايعا وقال بن سحنون في سؤالات سليمان
بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب
العقوبة الموجعة مع السجن الطويل ۞ وفي النوادر من رواية
سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم ۞ قال محمد بن سحنون
فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه
سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا
واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه
استحلاله ۞ فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم
قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على

سبه لم يجز لنا ذلك في قول قايل كذلك ينتقض عهد من سب
منهم وحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك
لا تحصنه الذمة ۞ قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف القول ابن القاسم فيما خفف
عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على انه خلاف ما روى
عن المدنيين في ذلك ۞ فحكى ابو المصعب الزهري قال اوتيت
بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد صلى الله عليه وسلم
فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت
من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب ۞ وسئل ابو
المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال
ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال
مسكين محمد يخبركم انه في الجنة فهو الآن في الجنة ماله لم ينفع
نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه
الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم
فيها ثم رأيت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوط
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان
شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ۞ ولقد كتب الى مالك
من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك
فكتبت بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله
وكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه فكتبته
بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل
وحرق ۞ وافتى عبد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف

اصحابنا

اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى
لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وبقبول اسلامها ودرء القتل
عنها قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال
ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر
قتل ولا يستتاب ۞ وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين
في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف
وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط
عنه باسلامه حدود الله ۞ فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك
لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين
فتأمله

فصل في ميراث من قتل بسب

النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء
في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله
عليه وسلم كفر الزندقة ۞ وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين
ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين
ويقتل على كل حال ولا يستتاب ۞ قال ابو الحسن القابسي رحمه
الله ان قتل وهو منكر للشهادة والحكم في ميراثه على ما اظهر
من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه وليس من الميراث
شيء ۞ وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة يقتل اذ هو حده
وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب

وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين
لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ويستر عورته ويوارى كما يفعل
بالكفار ۞ وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادى بين لا يمكن
الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تايب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ
وكذلك في كتاب بن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله
لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب
في من اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه
ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذى ارتد اليه ولا يجوز وصاياه
ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن
ابى زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذى يستهل بالتوبة فلا يقبل
منه ۞ فاما المتمادى فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد في من
سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم يقبل انه يصلى
عليه ۞ وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب بن حبيب في من كذب
برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام
ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف
فيه عن احمد وقال على بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود
وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحق وابو حنيفة رضي الله عنهم يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين
وقال القاضي رحمه الله وتفصيل ابي الحسن في باقى جوابه حسن
بين وهو على راى اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما
على قولى في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت

عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ
ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او
توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه
لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه ۞ وقال به ايضا جماعة من اصحابه
وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد بن سحنون وذهب بن قاسم
في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث
وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا ۞
فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام ۞ وسئل ابو القاسم بن الكاتب
عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل
دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث
بين اهل الملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وال النبي
صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه رضي الله تعالى عنهم ۞ قال
القاضي رحمه الله لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين
كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط
وفي كتاب بن سحنون ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق
بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون
افتراء على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم
يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك
مثله وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل
المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا

قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولابد من الاستتابة وذلك كله كالردة
وهو الذى حكاه القاضى بن نصر رحمه الله عن المذهب وافتى ابو
محمد بن ابى زيد فيما حكى عنه فى رجل لعن رجلا ولعن الله فقال
انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى فقال يقتل بظاهر كفره
ولا يقبل عذره ۞ واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف
فقهاء قرطبة فى مسئلة هرون بن حبيب اخى عبد الملك الفقيه
فكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها
انه قال عند استقلاله من مرض لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت
ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد
فقتله وان مضمن قوله تجوير الله تعالى وتظلم منه والتعريض
فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك ابن حبيب وابراهيم بن حسين
بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضى بطرح القتل عنه الا ان
القاضى رأى عليه التثقيل فى الحبس والشدة فى الادب لاحتمال
كلامه وصرفه الى التشكى فوجه من قال فى ساب الله تعالى
بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه
قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال الى دين اخر من
الاديان المخالفة للاسلام ۞ ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه
ذلك بعد اظهار الاسلام ۞ قبل اتهمنا وظننا ان لسانه لم ينطق
به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا احد فحكم له بحكم الزنديق
ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر واظهر بمعنى الارتداد فهذا
قد علم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول التمسك به
وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو
مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف فى فصوله

فصل

فصل واما من اضاف الى الله

تعالى ما لا يليق به وليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن
على طريق التأويل والاجتهاد والخطاء المفضى الى الهوى والبدعة
من تشبيه او نعت بجارحة او نفى صفة كمال فهذا مما اختلف
السلف والخلف فى تكفير قايله ومعتقده واختلف قول مالك
واصحابه فى ذلك ولم يختلفوا فى قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا فى المنفرد منهم فاكثر
قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة
فى عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم
كما فعل عمر رضى الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز فى الخوارج
وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون فى جميع اهل الاهواء وبه
فسر قول مالك فى الموطاء وما رواه عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
وجده وعمه من قولهم فى القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وقال عيسى عن ابن القاسم فى اهل الاهواء من الاباضية والقدرية
وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل كتاب
الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا و
ميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم فى كتاب محمد
فى اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما
انتم عليه ومثله فى المبسوط فى الاباضية والقدرية وسائر اهل
البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء قال وبهذا
عمل عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال ابن القسم من قال ان الله لم يكلم
موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا
يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة

وقد روى ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت
الروايات عن مالك واطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان
بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زوج القدري
فقال لا يزوجه قال الله تعالى ولعبد مومن خير من مشرك
وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيأ
من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع
ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق
كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع رحمه الله يجلد ويوجع
ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل
ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد
الله التستري من ائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف بقتل المستبصر
الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم
وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روى عنهم ذلك
فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص
بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو
من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج
والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول
احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول
وممن روى عنه معنى القول الآخر بتكفيرهم علي بن ابي طالب وابن
عمر وحسن البصري رضي الله عنهم وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار
والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء
ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري

احكام

احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي رحمه الله وانما قال
مالك في القدرية وساير اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه
من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان رأى الامام قتله وان لم
يقتل فتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان
كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل
البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل في تحصيل القول في اكفار

المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء
المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى الكفر هو اذا وقف عليه
لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون
في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف
ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر
الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم
من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة
على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره قال وهو قول جميع
اصحاب المالك المغيرة وابن كنانة اشهب قال لانه مسلم وذنبه
لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول
بالتكفير او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة
الصلاة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر رحمه الله
امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم
لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله
في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس رضي الله
عنه حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل

لاتحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم و تختلف في
موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث منهم ورثتهم
من المسلمين ولانورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير
بالمال وكذلك اضطرب فيه قول شيخنا ابي الحسن الاشعري
واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود
الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم والمسيح
او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا
ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله
عن المسألة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر
في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين
الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان استباحة
دماء المصلين الموحدين خطاء والخطاء في ترك الف كافر اهون
من الخطاء في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام
فاذا قالوا يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا يرتفع
ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل مما جاء
منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام
وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك
في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول
بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ
في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك
دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج

وغير

وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا نقطع على احدهما الا بدليل
قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال
شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال عليه
السلام فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر
لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر
انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله
من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر
وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله
يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤن
القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك
قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون
اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل
على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الآخرون ان معنى لا يجاوز
حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم
ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله عليه السلام ويتمارى
في الفوق وهذا يقتضي التشكيك في حاله وان احتجوا بقول
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل
من هذه وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الآخرون
بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف
لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي
عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم رضي الله عنهم في هذا الحديث

يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل
على اخراجهم من الامة يفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد
رحمه الله اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل
على سعة فقه الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين و تحقيقهم
للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية
هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها
مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن
شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو
الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في
فعله وتكذيبا بخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال
له الله وهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف
الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان
لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو
مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري رحمه الله الى تصويب
اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق
في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين
في واحد والمخطي فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود
الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل
من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا
او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا
من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم
لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال

وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقايل هذا كله
كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل
من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال
القاضي ابو بكر رحمه الله لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف
في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه
لا يقع الا من كافر

فصل في بيان ما هو من المقالات

كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق
هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل
فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة
الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية
واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة
الاوثان او الملائكة والشياطين او الشمس والنجوم او النار
او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول
والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف
بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم
وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد
من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم
صانعا للعالم سواه ومدبرا غيره فذلك كفر باجماع المسلمين
كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعين وكذلك
من ادعى مجالسة الله او العروج اليه ومكالمته او حلوله

في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى
والقرامطة وكذلك نقطع بكفر من قال بقدم العالم او بقائه او
شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال
بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها
او تنعيمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما ونبوة نبينا صلى الله
عليه وسلم خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد
علمه بذلك وهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية
من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا رضي الله عنه
كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية
والعنبرية من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر
اخر من قبلهم ۞ وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به
ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة
فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار
عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار
ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها
الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم
فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي ۞
وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا
صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه
او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى

عليهم

الجزء الثالث والعشرين
٢٣



عليهم اواذاهم قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر
من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا
ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود بقوله تعالى وان من
امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه
الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب
المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر
من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا عليه السلام
كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز
او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به
وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده كالعيسوية
من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين
بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي
صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه
في النبوة والحجة كالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع
وبيان واشباه هؤلاء ۞ ومن ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها
والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة
وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه
يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور
العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله
انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل
هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص
فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا ۞ وكذلك

وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة او تكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ۝ اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة عليهم وصل على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزي بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه السلام ووقع الاجماع المتصل

عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوة وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلم اذ لم يرد به في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد ۝ وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت والمسجد الحرام وصفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين ۝ وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد باسلام فيقال له سبيلك ان تسئل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون

وان صفات الصلوة المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم
وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم
ولا يرتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة
المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل يظاهر
التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على
جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول
الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة
اذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال
هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه
كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله
عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي
ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بهذا القول
وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم
الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه
بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القرآن
بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما
بانه لا يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او التجويز الوهم على ناقليه
فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقرآن مكذب للنبي
صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه ⊙ وكذلك من انكر الجنة
او النار او البعث والحساب والقيمة وهو كافر باجماع للنص عليه

واجماع

واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك اقول فمن اعترف بذلك
ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب
معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى
والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول
بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان
الائمة افضل من الانبياء ⊙ فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار
قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر
او قتل عثمان وخلافة علي رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة
وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار
وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد
وقعة الجمل ومحاربة علي رضي الله عنه من خالفه ⊙ فاما ان ضعف
ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك
لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء
والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح
الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى
ومن يشاقق الرسول من بعد تبين له الهدى الاية وقوله
عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع الذي يختص
بنقله العلماء وذهب آخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع
الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع ⊙ لانه بقوله هذا مخالف

أجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر
رحمه الله تعالى القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان
بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا رأي الا ان يكون هو
الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله واجمع المسلمون
انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله
او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة
امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول قولا
يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود
للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون
ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان
وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان
فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا
في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك
من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر
من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا احمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه
فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ها هنا فكفره
بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن
الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان
واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه
ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء
بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها
التوحيد لا غير وبحديث القايل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه

لعلي

لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات
وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا
الحديث بوجوه منها ان قدر منها ولا يكون شكه في القدرة على احيائه
بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم
شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع
فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه
ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه
ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت
لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق
وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى
لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم لكن ولا علم
له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في ساير الصفات على مذهب المعتزلة
فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا
نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا
عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا ساير فرق اهل التاويل من
المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم يؤاخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم
موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا
لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول الذي الزمتموه لنا
ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما
اصلنا فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التأويل
فاذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب

ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام
عليهم في قصاصهم وورثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة
عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ
عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم وقد كان نشاء على زمن
الصحابة وبعدهم في التابعين من قال هذه الاقوال من القدر ورأي
الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا
لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم
لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كباير عند المحققين واهل السنة
ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب
قال القاضي ابو بكر رحمه الله ۞ واما مسايل الوعد والوعيد والرؤية
والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها
من الدقايق فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل
بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا
منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف
في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى ۞.

فصل هذا حكم المسلم الساب

لله تعالى واما الذمي فروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج
فيه فخرج بن عمر رضي الله عنهما عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال
مالك في كتاب بن حبيب والمبسوط وابن القاسم في المبسوط وكتاب
محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم

قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم
وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد ۞ واما غير
هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال
ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير هذه الاديان الله تعالى
بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة
ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا
فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك
وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به
كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا
قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية
وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي صلى الله
عليه وسلم واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن من
سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق
في ذلك من سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا
لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا
منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق
فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر
الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه
احد ولا يؤخذ عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال بن حبيب وما اعلم
من قاله غيره

فصل هذا حكم من صرح بسبه

واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك
وتعالى بادعاء الالهية والرسالة او النافي ان يكون الله خالقه

اوربه او قال ليس لي رب او المتكلم ما لا يعقل من ذلك في سكره
او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قايل ذلك ومدعيه مع سلامة
عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه
من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه من شديد
العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره
او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل
على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا يأمن باطنه
ولا يقبل رجوعه ۞ وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي ۞ واما
المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه
بالكلية فلا ينظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه
عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبايح
الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة
على سوء الخلق حتى تراض ۞ وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه
من ادعى الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحرث المتنبي
وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر
واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر
المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول
وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك
حكموا في ابن ابي العزاقر وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي
بالله وقاضي قضاة يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن
عبد الحكم من تنبأ قتل ۞ وقال ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه
من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال

ابن القاسم في كتاب بن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر
ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في
يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب
فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بار به وادعى
ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره
وهذا على القول الاخر من انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي
في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله
طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين ۞

فصل واما من تكلم من سقط

القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي
الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض
ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق
خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا
منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم
عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف
والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة
بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاصابه المطر فقال بدا
الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية
وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه
واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي
حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم رب
عبدناه ثم لا ينتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع
المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا

المطلوب من خطاباه وعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده
بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة
الفقيهين ۞ وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ
بقية الفقهاء وسبهم ۞ واما من صدرت عنه من ذلك الهنة
الواحدة والفلتة الشاذة ما لم تكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب
بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قايلها وشرح سببها
ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا
باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على
وجه سفه فلا شيء عليه ۞ قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ۞
وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب
ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف
كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه
الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا
قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا في هذه
الفصول ۞ واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان
كقول بعض الاعراب

رب العباد ما لنا وما بدا لكا
قد كنت تسقينا فما بدا لكا
انزل علينا الغيث لا ابا لكا

وفي اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب
الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب
تعليمه وزجره والاغلاظ عن العودة الى مثله ۞ قال ابو
سليمان الخطابي رحمه الله وهذا تهور من القول والله منزه

عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم
ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به
كذا ۞ وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر الله تعالى
الا فيما يتصل بطاعة وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل
ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير
قربة ۞ وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل
الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه
تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله تعالى عز وجل وينزل الكلام
في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على
الوجوه التي فصلناها والله تعالى هو الموفق بفضله وكرمه

فصل وحكم من سب سائر

انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به
او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه
قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال الله تعالى قولوا امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله تعالى
لا نفرق بين احد منهم وقال الله تعالى كل امن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب
ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد
الحكم واصبغ وسحنون في من شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه
قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم ۞
وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود و
النصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد

تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان
في بعض اجوبته من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من شتم
ملكا من الملائكة فعليه القتل ۞ وفي النوادر عن مالك رضي الله عنه
فيمن قال جبريل عليه السلام اخطاء بالوحي وانما كان النبي
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه استتيب فان تاب والا قتل ونحوه
ابن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم
كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب ۞ وقال ابو حنيفة واصحابه
رحمهم الله علي اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم
او برئ منه فهو مرتد ۞ وقال ابو الحسن القابسي رحمه الله في
الذي قال الاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك
قتل ۞ قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا كله فيمن تكلم
فيهم بما قلناه علي جملة الملئكة والنبيين او علي معين ممن حققنا كونه
من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر
المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك
وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن
من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان
والحفظة ومنكر ونكير من الملئكة المتفق علي قبول الخبر بهما ۞ فاما
من لم يثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع علي كونه من الملائكة او
الانبياء كهاروت وماروت من الملئكة والخضر ولقمان وذي القرنين
ومريم وآسيه وخالد بن سنان المذكور نبي اهل الرس وزرا
دشت الذي تدعي المجوس والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم
والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم يثبت لهم تلك الحرمة ولكن
يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيه لا سيما

من عرف

من عرف صدقيته وفضله منهم وان لم يثبت نبوته ۞ واما
انكار نبوتهم او كون الاخر من الملئكة فان كان المتكلم في ذلك
من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم
الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس
تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة ۞

فصل واعلم ان من استخف

بالقرآن والمصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية
او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر
او اثبت ما نفاه او نفي ما اثبته علي علم منه بذلك او شك في شيء
من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالي وانه لكتاب
عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ۞ حدثنا
الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله حدثنا ابو علي حدثنا
ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود
حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن
ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعني الشك وبمعني الجدال ۞ وعن
ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم من جحد
اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك
ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او
سبها او استخف بها فهو كافر ۞ وقد اجمع المسلمون ان القرآن
المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين
مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الي اخر قل اعوذ

برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه
وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا كذلك
او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما يشتمل عليه المصحف
الذى وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل
هذا انه كافر ولهذا رأى مالك قتل من سب عايشة رضى الله عنها
بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل لانه كذب بما فيه
وقال ابن القاسم من قال الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل
وقاله عبد الرحمن بن مهدى ۞ وقال محمد بن سحنون فيمن قال
المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك
من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله ما تخذ
الله ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبى صلى الله عليه
وسلم ۞ وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد
متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية
اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ
كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه يسمع انه من كفر بحرف منه فقد
كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من كفر باية
من القرآن فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج رحمه الله من كذب
ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد
كفر بالله ۞ وقد سئل القابسى رحمه الله عمن خاصم يهوديا
فحلف له بالتورية فقال الاخر لعن الله التورية فشهد عليه
بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال انما
لعنت تورية اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب

القتل

القتل ۞ والثانى علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشىء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان
على لعن التورية مجردا لضاق التأويل ۞ فقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبود المقرى ۞ احد ائمة المقريين المتصدرين بها
مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس من المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا شهد فيه بذلك
على نفسه فى مجلس الوزير ابى على بن مقلة سنة ثلاث وعشرين
وثلاث مائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهرى
وغيره وافتى ابو محمد بن ابى زيد بالادب فيمن قال لصبى لعن
الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن
قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل ۞

فصل وسب آل بيته وازواجه

واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضى
الشهيد ابو على رحمه الله حدثنا ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل
العدل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو على السنجى حدثنا ابن محبوب
حدثنا الترمذى حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابراهيم
حدثنا عبيدة بن ابى رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
مغفل قال ۞ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى
الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى
احبهم ومن ابغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه ۞ وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال

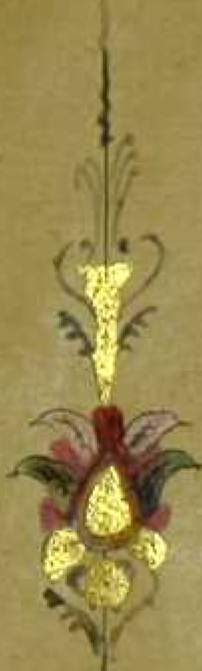
عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في اخر الزمان يسبون
اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا
تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم
من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم
ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام
فقال لا تؤذوني في اصحابي فمن اذاهم فقد اذاني قال
لا تؤذوني في عايشة رضي الله عنها وقال في فاطمة رضي الله عنها
بضعة مني تؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور
مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه
الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه
ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه
ابابكر وعمر وعثمان او معوية او عمرو بن العاصي رضي الله عنهم
فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا
من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة الى بغض عثمان رضي الله عنه والبراءة منه ادب ادبا
شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة
عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به
القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون
رحمه الله من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عليا او عثمان رضي الله عنهما وغيرهما بوجع ضربا وحكى ابو محمد
بن ابي زيد عن سحنون رحمهما الله من قال في ابي بكر وعمر
وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم انهم كانوا على ضلالة وكفر
قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد

وروى

وروي عن مالك رضي الله عنه من سب ابي بكر رضي الله عنه جلد ومن
سب عايشة رضي الله عنها قتل فقيل له لم قال من رماها فقد
خالف القرآن وقال ابن شعبان رحمه الله عن مالك رضي الله عنه
لان الله تعالى يقول انما يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم
مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان
القاضي ابي بكر ابن الطيب رحمه الله قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن
ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثير وذكر تعالى ما نسبه المنافقون
الى عايشة رضي الله عنها فقال الله تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان سبح نفسه
في تبريتها من السوء كما سبح نفسه في تبريته من السوء وهذا يشهد
لقول مالك رضي الله عنه في قتل من سب عايشة رضي الله عنها
ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبه وكان سبها سبا
لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه باذاه الله تعالى
وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه صلى الله عليه
وسلم كذلك كما قدمناه وشتم رجل بعايشة رضي الله عنها بالكوفة
فقدم الى ابي موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال
ابن ابي ليلى انا فجلد ثمانين وحلق رأسه واسلم الى الحجامين
وروى عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد
الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني
فطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب النبي محمد صلى الله عليه
وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اتى باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه

قال مالك رضى الله عنه من انتقص أحدا من أصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم فليس له فى هذا الفىء حق قد قسم الله الفىء فى ثلاثة
أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية ثم قال والذين
تبوءو الدار والإيمان من قبلهم الآية وهؤلاء الأنصار والذين
جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له فى فىء المسلمين
وفى كتاب ابن شعبان رحمه الله من قال فى أحد منهم انه ابن زانية
وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه ولا أجعله
كقاذف الجماعة فى كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه السلام
من سب أصحابى فاجلدوه قال ومن قذف أم أحدهم وهى كافرة
حد حد الفرية لأنه سب له فإن كان أحد من ولد هذا الصحابى حيا
قام بما يجب له وإلا فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول
قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم
صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه
كان ولى القيام به قال ومن سب غير عائشة رضى الله عنها
من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ففيها قولان أحدهما
يقتل لأنه سب النبى صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والآخر
أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفترى قال وبالأول أقول وروى
أبو مصعب عن مالك رضى الله عنه من انتسب إلى بيت النبى صلى
الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى
تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم
وأفتى أبو المطرف الشعبى رحمه الله فقيه مالقة فى رجل أنكر
تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه

ما خلفت



ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال
أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبى بكر الصديق فى مثل هذا يوجب
عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذى صوب قوله
هو أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه فى ذلك ويزجر
ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهى جرحة ثابتة فيه ويبغض فى الله
تعالى وقال أبو عمر رحمه الله فى رجل قال لو شهد على أبو
بكر الصديق رضى الله عنه انه إن كان فى مثل هذا لا يجوز فيه الشاهد
الواحد فلا شىء عليه وإن كان أراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به
حد الموت وذكروها رواية

قال القاضى

أبو الفضل رضى الله عنه هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز
الغرض الذى انتحيناه واستوفى الشرط الذى شرطناه مما أرجو أن
فى كل قسم منه للمريد مقنع وفى كل باب منهج إلى بغيته ومنزع
وقد سفرت فيه عن نكت يستغرب ويستبدع وكرعت
فى مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل فى أكثر التصانيف مشرع
وأودعته غير ما فصل وددت لو وجدت قبلى من بسط الكلام
فيه أو مقتدى يفيدنيه عن كتابه أو فيه لأكتفى بما أرويه عما أرويه
وإلى الله تعالى جزيل الضراعة فى المنة بقبول ما منه لوجهه
والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وأن يهب لنا ذلك
بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه من شرف مصطفاه وأمين وحيه
وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز
خصائصه ووسائله ويحمى أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا
كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن حوضه

ويجعله لنا ولمن تهمم باكتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه
وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت محضرا نجوز بها رضاه
وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا
في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده
تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهمه وفتح البصيرة لدرك حقايق
ما اودعناه وفهمه ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم
لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا
ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل
المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل تم الشفا بتعريف
حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم والحمد
لله رب العالمين وصلوته على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى اله و
صحبه اجمعين وسلم
تسليما كثيرا

تم تم
تم

ترجمة القاضي عياض تغمده الله برحمته

هو الامام العلامة ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو
بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي استقر اجداده
في القديم بجهة قسطلة ثم انتقلوا منها الى مدينة فاس ثم الى سبتة
وبها ولد هو وسمع من مشايخها وتفقه ببعضهم ورحل الى الاندلس
فاخذ بقرطبة عن ابي الحسين بن سراج وابي عبد الله بن حمد وابي
القسم بن النخاس بالخاء المعجمة وابن رشد وابن عتاب وبن بحر
وابن العواد وابي القسم بن نقي وابن الحاج وابن مغيث وغيرهم
ورحل منها الى مرسية فقدمها في غرة صفر سنة ثمان وخمسماية
وشيوخه يقاربون ماة ولقي من اعلامهم ابي عمران بن ابي تليد وابا
بكر بن عطية وابن العربي واجاز له ابو علي الغساني وخليص بن عبد
الله وابو زيد بن منتاب وابن السيد وابو زيد بن الوراق واجاز له
ابو عبد الله الخولاني ولقيه ابو الوليد بن طريف وابو الاصبغ عيسى
بن ابي البحر الشنتريني وغيرهم وكتب اليه من المشرق ابو النصر النهاوندي
وابو بكر الطرطوشي وابو الحسن بن المشرف وابو الطاهر السلفي
وابو عبد الله المازري من المهدية وكان رضي الله عنه لا يدرك
شاوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الاثار وخدمة
العلم مع حسن التفنن فيه والتصرف الكامل في فهم معانيه مع
معرفة بالادب وتحققه بالنظم والنثر ومهارة في الفقه ومشاركة
في اللغة والعربية وقد ذكره ابو النصر الفتح بن عبد الله القيسي
في كتابه المعروف بقلايد العقيان ومحاسن الاعيان في القسم الثالث
منه في لمح اعيان القضاة ولمع اعلام العلماء فقال جاء على قدر
وسبق الى نيل المعالي وابتدر فاستيقظ لها والناس نيام وورد

ماءها وهو حباب ونلى من المعارف ما اشكل واقدم على ما الجم
عنه سواه ونكل وتحلت به للعلوم بحور ۞ وتجلت له منها حور كانهن
الياقوت والمرجان ۞ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ۞ قد الحفته
الاصالة رداءها وسقته انداءها والقت اليه اقاليدها وملكته
طريفها وتليدها فبرز على قبالة الكهول سكونا وحلما وسبقهم معرفة
وعلما واردت محاسنه البدر المياح ۞ وسرت فضايله مسرى الرياح
فتشوقت لعلاه الاقطار ۞ ووكفت تحكى بدءه الامطار وهو على اعتنايه
بالعلوم الشريفة واختصاصه بهذه الرتبة المنيفة يعنى باقامة اود
الادب وينسل اليه من كل حدب الى سكون ووقار كما رسا الطود ۞
وجمال مجلس كما جليت الخود ۞ وعفاف وصون ما علما فسادا بعد الكون ۞
ووقار لو رأته الشمس ما باهت باضواء وخفر لو كان للصبح ما لاح ولا
سفر قال وقد انبت من كلامه البديع الالفاظ والاغراض ما هو
اسحر من العيون النجل والحدق المراض اخر كلامه فيه ۞ وولى
قضا بلده مدة طويلة ثم نقل الى قضا غرناطة ۞ فلم يطل مقامه بها و
اعيد الى سبتة ثانية ومنها اشخص مراكش وفيها توفى مغربا
عن وطنه يوم الجمعة السابع من جمادى الاخرة سنة اربع و
اربعين وخمسماة ودفن بباب ايلان داخل المدينة
ومولده منتصف شعبان ستة وسبعين واربع
مائة فيكون مدة عمره على هذا الحكم سبعا
وستين سنة وتسعة اشهر
واثنين وعشرين يوما
رحمه الله وغفر له
ورضى عنه